بسم الله الرحمن الرحيم * نحمده و نصلي على رسوله الكريم

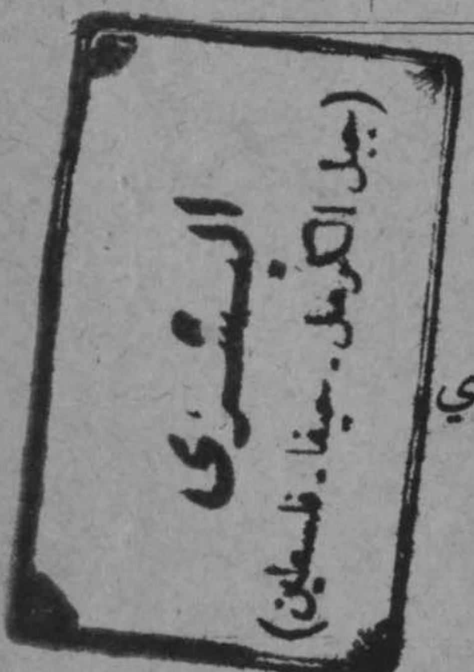
الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة
«قرآن مجيد»



مجلة اسلامية تصدر شهريا

لسان حال الجماعة الاحمدية

السنة ٣ | ربيع ٢، جمادي ١ ١٣٥٦، يوليو، اغسطس ١٩٣٧ | العدد ٧، ٨



مدير «البشرى» و محررها
المبشر الاسلامي محمد سليم الاحمدي

••*•*•*•*•*

المطبعة الاحمدية * بجبل الكرمل * حيفا : فلسطين

محتويات هذا العدد

••*•*•*•*•*•*•*•*•*

(*) بسم الله الرحمن الرحيم * نحمده ونصلي على رسوله الكريم (*)

مدير «البشرى» ومحررها المبشر الاسلامي محمد سليم الاحمدي	البشرى مجلة اسلامية تصدر شهريا لسان حال الجماعة الاحمدية بالديار العربية	عنوان المراسلات مجلة «البشرى» بجبل الكرمل حيفا فلسطين

السنة ٣ | ربيع ٢ جمادى ١، ١٣٥٦ * يوليو اغسطس ١٩٣٧ | العدد ٧، ٨

من كلام المجدد الاعظم للامة المحمدية

حضرة احمد المسيح الموعود عليه السلام



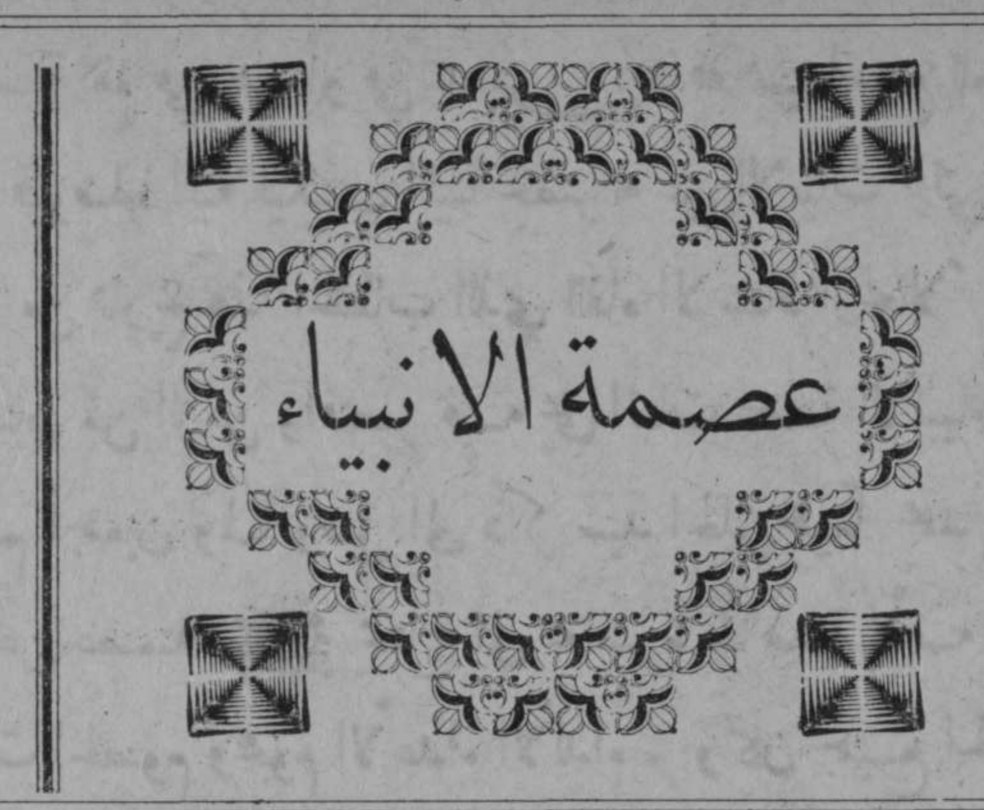
(من كتاب «التعليم» تعريب استاذنا الكبير السيد زين العابدين ولي الله شاه)

فيا اولئك الناس الذين يحسبون انفسهم من صحبي لا تُحسبون صحبي في السماوات الا حين تسلكون سبل التقوى بالحق. لذلك فاقيموا صلواتكم الخمس بالخشوع وخضوع القلب كأنكم تناظرون الى الله. وأتموا لله صيامكم بالصدق. وكل من وجبت عليه الزكاة فليؤدّها. ومن فرض عليه الحج ولا مانع له فليحج البيت. تجملوا بفعل الخيرات واتركوا الشر قالين له. الا اعلموا يقينا ان العمل الذى يخلو من التقوى لن يصل الى الله قطعاً. ان التقوى أصل الخير كله وأبداً لن يضيع العمل الذى لا يضيع منه هذاك الأصل. وليس ببدع أن تُفتنوا بانواع الهموم وصنوف الآلام كما فتن المؤمنون من قبل. لذلك كونوا على حذر لئلا تعثروا. لا تستطيع الأرض ان تنالكم بضر ان كانت لكم مع

السماء الوصلة المتينة . وما تضرون اذ تضرون انفسكم الا بأيديكم لا من أيدى العدو . وان تذهب وجاهتكم الأرضية كلها هباءً يعظكم الله في السماء وجاهة لا تزول . لذلك فلا تهجروه ابداً، لا بد ان تؤذَوا وتحرموا آمالاً كثيرة فلا يحزنكم ذلك قطعاً لأن ربكم انما يبلوكم ليعلم هل انتم ثابتون في سبيله ام لا ؟ فان كنتم تحبون ان الملائكة أيضاً تثني عليكم في السماوات العُلى فكونوا فرحين اذا ضربتم وشاكرين اذا شتمتم ولا تصرموا حبل الوصل ان خابت آمالكم ، إنكم فئة الله الأخيرة فقوموا بالعمل الذى يكون منتهى الغايات فى الكمال !

واعلموا ان كل من كان منكم كسولاً ليقذفنَّ خارج الجماعة كمثل الردىء من الأشياء ويموتنَّ حسرة ولا يمكنه ان يمس الله بضر . الا اني اخبركم بكل حبور ان إلهكم لموجود حقا وانه تعالى وان كان الكل من خلقه ليصطفي من يختاره ومن يذهب اليه يأته ومن يعظمه يكرمه .

تعالوا وهلموا اليه مستقيمي القلوب مطهرين لألسنتكم وأعينكم وآذانكم ، فانه ليقبلكم ، انما يريد منكم سبحانه من حيث العقيدة ان تؤمنوا بأن الله واحد وبأن محمداً رسوله وانه خاتم النبيين وأفضل الناس أجمعين لا نبي من بعده الا الذي أُلبس رداء المحمدية على سبيل التمثل والبروز ، فان الخادم ليس بمنفصل عن مخدومه ولا الفرع بمنصرم عن جذعه ، لذلك فمن كان بكليته فانيا فى سيده وينال من الله لقب نبي فما هو مخلا بختم النبوة مثلما لا تكون انت اثنين اذا نظرت فى المرآة بل انما تكون واحداً وان يتراءى لك اثنان بادئ الرؤية ، وليس الفرق ثمت الا ما بين الظل والأصل ، فهكذا تماماً قضت مشيئة الله فى المسيح الموعود ومن أجل هذا السر المكتوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يدفن المسيح الموعود فى قبري) يعنى انه بعيني وما لونه صبغتان ؟



عصمة الانبياء

خطاب قيم القاه استاذنا الجليل السيد جلال الدين شمس بدار جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية فى مصر سنة ١٩٢٩ م . وكان المستمعون نحو الفي شخص وكثير منهم من علية القوم وكبار العلماء وعلى الخصوص اعضاء جمعية المكارم . وكان تأثير الخطاب عظيما على المستمعين لم تسمع مصر له مثيلا بشهادة القوم وقد بلغ التأثر من الخطاب ووقعه فى النفوس مبلغاً أن قام احد العلماء الأجلاء وقاطع الاستاذ المحاضر بصوت عال جهوري قائلاً :—

« على رسلك أيها الاستاذ ! » فصمت الاستاذ جلال الدين ونظر الى الصارخ مستفهما كما ان الجمع المحتشد اشرأبت اعناقه الى الصارخ المقاطع في دهش واستغراب فتابع ذلك العالم الفاضل حديثه موجهاً إياه للسيد جلال الدين وقال: « يقولون ان زمن الاجتهاد مضى وانقضى ولكني أقول وأشهد الله على ما أقول كأنّ روح ابن عباس رضى الله عنه تتجلى اليوم على مجمعنا الحاضر وان قلبي يحدثني ان الله سبحانه هو الذي ارسلك ايها الاستاذ الى مصر لتعلم اهلها دينهم الصحيح »

ثم انشد ثلاثة ابيات مديحاً للاستاذ لم يعلق منها شيء بالذاكرة ولعل

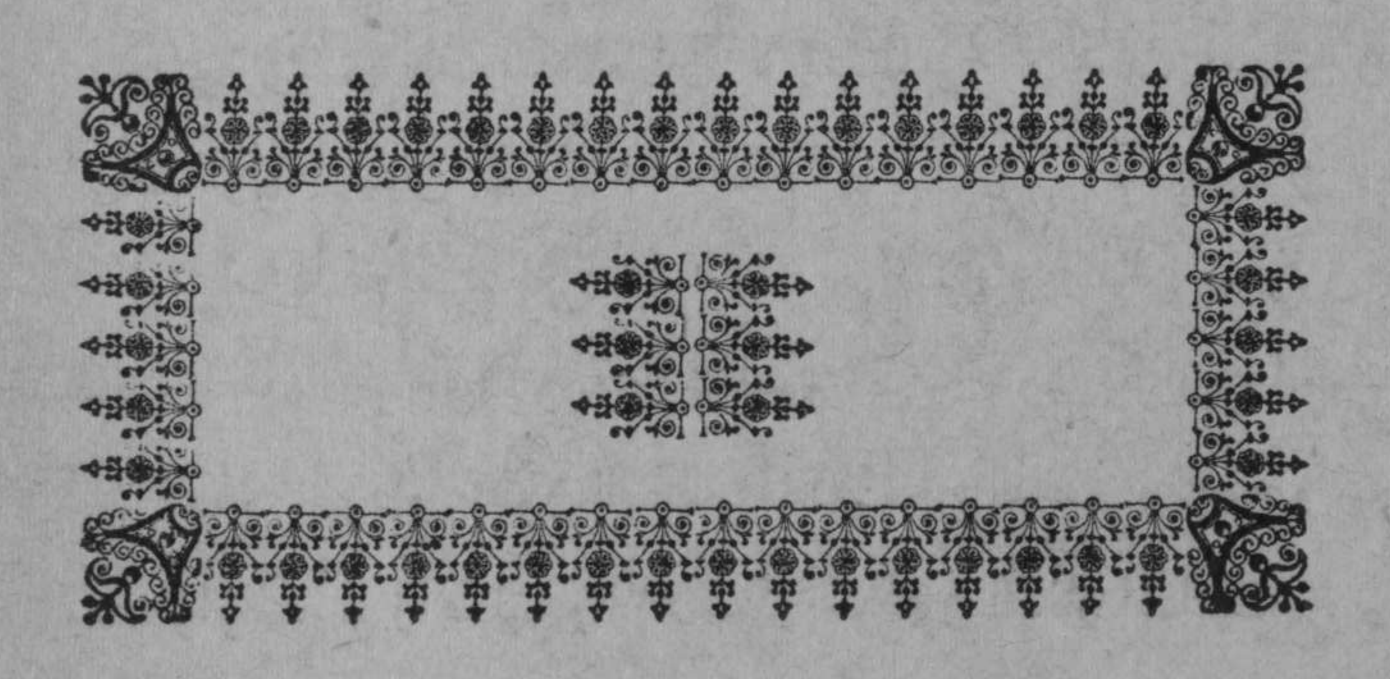
هذه الرسالة تقع في يده أو في يد من يعرفه ممن استمع للخطاب وشهد ذلك الاجتماع فيوصلها اليه ليكتب الينا حضرته عن الابيات التي القاها ليتم لدينا ما نعرفه من تاريخ هذا الخطاب الذي القاه الاستاذ ارتجالاً واستغرق القاؤه نحو ساعتين من الزمن واقتصر فيه على اثبات عصمة الانبياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين ولما وصل الى ذكر سيد الخلق جميعاً محمد ﷺ بيّن ان البحث عن عصمته ﷺ يحتاج الى محاضرة خاصة لأنه هو اعظم هدف لافتراآت الخصوم وهجوم الأعداء الألداء. وكان جميع الحاضرين يتمنون لو استمر المحاضر في محاضرته التي استمعوا اليها كلهم بكل خشوع وكأنّ على رؤسهم الطير ولما انتهت المحاضرة التفّ الناس حول الاستاذ وأظهر اعضاء الجمعية له كل احترام وتقدير وكانوا يسئلونه أين تعلمت ؟ وفي أية مدرسة نشأت ؟ وكيف تعلمت العربية ؟ فكان يجيبهم في الهند وقد صرح له البعض منهم علانية ان مثل هذه الأفكار الطلية العجيبة البديعة لا يمكن ان تنبت من الازهر وقالوا :— الأمر الغريب انها كلها افكار جديدة وابحاث مستجدة وكلها تفسير للقرآن المجيد من القرآن نفسه والعربية الصحيحة وكل هذا لا يمكن أن يخرج مثله من الأزهر .

هذا كله كان بل اكثر منه وجميع الحاضرين كانوا يتوقعون أن يسمعوا من الاستاذ جلال الدين محاضرة أخرى قيمة في الدفاع عن حبيبنا الأعظم سيدنا محمد ﷺ وقد رجوه بكل الحاح ان يطبع هذه المحاضرة التي القاها ولم يكن لديه شيء مدوّن منها سوى رؤس اقلام . وقد انتظر الاستاذ ان تكلفه جمعية المكارم بالقاء المحاضرة الموعود بها ولكن ذكر المحاضرة وتأثيرها كان وصل الى اعداء الأحمدية وخاصة صاحب « الفتح » في مصر والأصفهاني في فلسطين فحالوا دون سماع الحق ووقفوا حجر عثرة في سبيل

الدفاع والذب عن كرامة الرسول الأعظم وخاتم النبيين سيدنا وحبيبنا الأكرم محمد ﷺ . وقد نزل الاستاذ عند رجاء من رجاه بطبع المحاضرة فألفها ورتبها بصورة موجزة وانما لم تساعده الظروف على نشرها في ذلك الوقت وإننا نقدمها اليوم لحضرات القراء عسى الله ان يزيد بها انصاراً لدينه الحق المبين .

وقد جعلها قسما من كتاب يريد اتمامه فى الدفاع عن الانبياء كلهم وبالخاصة سيد الوجود محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

وعسى الله ان يهيء لاستاذنا الكريم الفرصة ليخرج للناس تتمة كتابه لأنه لا يوجد مسلم على وجه الارض الا وهو باشد حاجة لتناول ذلك السلاح الذي يستطيع به الوقوف فى وجه خصوم الاسلام ليذب به عن حياضه وينافح عن كرامته وان الذين يقرأون هذه المحاضرة من ذوي الانصاف والعقول الراجحة والاخلاص الأكيد لا بد ان يشعروا من اعماق قلوبهم بضرورة عصمة الانبياء والحكمة من اصطفاء الله اياهم وجعلهم قدوة صالحة لهداية بني الانسان على ممر الدهور وارشاد الناس الى صراط الله المستقيم . والله هو الموفق والهادي الى سواء السبيل م؟



بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم



الحمد لله الملك القدوس العزيز الحكيم الذى أرسل انبيائه الطاهرين المطهرين ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور و يرشدوهم الى صراط مستقيم ويزكّوهم ويطهروهم من الذنوب و الآثام ويبيّنوا لهم طرق الهداية و الانقاذ من همزات الشياطين .

و الصلاة و السلام على أفضل رسل الله سيد المعصومين وفخر الكائنات وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه و على آله اجمعين المأمور بأن يعلن عن الغاية من حركاته وسكناته كما قال الله في كتابه المبين : ﴿ قل ان صلاتي ونسكي و محياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا اول المسلمين ﴾ . — انعام —

اما بعد فقد طغى سيل المبشرين المسيحيين الذين يحاولون تنصير المسلمين بطرقهم المعوّجة الملتوية وأساليبهم الغريبة . ولا نكران في أنهم يبذلون في ذلك اعظم الجهود و ينفقون القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و يهجرون أقاربهم وأوطانهم وأهلهم وخلانهم ويخوضون البحار المائجة و يركبون متون امواجها المتلاطمة الصاخبة ويجوبون الفيافي الواسعة الشائكة و

الصحاري المترامية الاطراف ويجوسون خلال الديار الشاسعة الأرجاء و الاكناف. ولا يدخرون وسعاً دون بغيتهم ولاقوة الاويستنزفونها الى آخرها في سبيل مآربهم ويستعملون مختلف الطرق والمكر وشتى الحيل والأساليب فمن مدارس يفتتحونها باسم الثقافة والارشاد والتعليم ومن مؤسسات للعجزة و العميان ومستشفيات للرجال والنسوان وملاجئ للمعوزين و المستضعفين من الكبار والولدان وكل ذلك لا رحمة بالناس ولا شفقة على خلق الله وانما طمعاً في تنصيرهم وترويج دعايتهم الكاذبة واشاعة عقائدهم الواهية وان لهم مؤلفات ونشرات ورسائل تفوق العد وتجل عن الحصر والاحصاء و قد طالعت منها عدداً غير قليل وناظرت و باحثت الكثيرين من رجال النصرانية و دعاتها فرأيت أن اعظم وأهم مايدعيه هؤلاء ويذيعونه في مؤلفاتهم و نشراتهم التي يوزعونها بين الناس ويحملونها اليهم في الأزقة والطرقات والشوارع والقطارات هو زعمهم بعدم عصمة الانبياء الكرام وادعاؤهم كذبا وزوراً أنهم عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا منزهين وبريئين من الذنوب والاجرام والكبائر والآثام الا يسوع المسيح عليه السلام وهم يحملون على الاسلام و يندوون بالمسلمين لاعتقادهم بعصمة الانبياء وتنزيههم إياهم عن الخطايا والذنوب .

يقول مؤلف تعليم العلماء في عصمة الانبياء ص ٥ ما نصه :—

« لما كان اخواننا المسلمون يعتقدون بعصمة الانبياء الكرام وينزهونهم عن الخطايا والآثام وكان في ذلك التواء عن الحق وخطأ مبين و عبث بالحقيقة المقررة في الكتاب العزيز الثمين رأينا ان نبين لاخواننا ماهم عليه من الوهم العظيم ونبسط لهم الحقيقة والصراط القويم .... وغايتنا أن نبين بأن الجميع قد اخطأوا وأعوزهم مجد الله الا يسوع المسيح ومتى فعلنا ذلك نكون قد اعددنا انفسنا لقبول خلاص الله بواسطة ذلك الوحيد المعصوم عن الخطأ »

وكذلك يقول القسيس نقولا يعقوب غبريل في كتابه مباحث المجتهدين ص ٢٥ ما نصه :—

﴿ ان الجميع اخطأوا لذلك هم يحتاجون الى ذبيحة المسيح للتكفير عن خطاياهم والا زجوا في جهنم لاتمام عدل الله ﴾ ثم يقول :—

﴿ يعتقد النصارى استناداً الى كتابهم ان جميع الناس اخطأوا وعمَّ الفساد الجنس البشري كله وبما ان الانبياء لم يكونوا من غير هذا الجنس فهم اذاً خاطئون .... غير معصومين في اعمالهم وتصرفاتهم الاعتيادية دلالة على ضعف الطبيعة البشرية واثباتاً ان العصمة والكمال لله وحده ذي القدرة والجلال ﴾ .

ثم بعد ذكر الآيات القرآنية التي ظن من جهله انها تدل على عدم عصمة الانبياء يقول ما نصه :—

﴿ ها قد رأينا ان الانبياء العظام قد ارتكبوا المعاصي حتى محمد نبي المسلمين لذلك احتاج الناس قاطبة الى مخلص من العذاب المعد لمخالفي وصايا الله ومقترفي الآثام والى كفارة لاعيب فيها لفداء تلك الانفس واظهار عدل الله ورحمته (١)

حاشية (١) ما أبدع هذه النظرية التي اكتشفها الخواجه غبريل لاظهار عدل الله ورحمته ! كأنَّ العدل والرحمة شيئان متضادان لم يكن من الممكن الجمع بينهما الاّ ان يقتل الله المسيح البار صلباً بالرغم عن تقدمه اليه بصراخ شديد ودموع وطلبات وتضرعات وصلوات بأشد لجاجة حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة لكي يعبر عنه كأس الموت ولكنه لم يسمع له وعندها بدأ يصيح بكل جزع وتلهف ايلي ايلي لم شبقتني ؟ اي إلهي إلهي لماذا تركتني حتى لفظ نفسه الأخير (فليحيي العدل !) .

ولما كان ظهور عدل الله ورحمته متوقفاً حسب زعمكم على موت

وأن لدعاة النصرانية كتباً أخرى كثيرة مثل علم الاعلام و النبي المعصوم مشحونة بالطعن فى قداسة الانبياء الاخيار وليس غرضهم من إثبات العصمة للمسيح وحده وذكر مساوي الانبياء الآخرين و مثالبهم الا السعي وراء

....

المسيح مصلوباً فلا شك بأن الله لم يكن عادلاً ولا رحيما قبل صلب المسيح . و اذا كان العفو عن ذنب المجرم كما تقولون خلاف العدل و تعذيب المجرم خلاف الرحمة فكيف يجوز ان يكون من العدل والرحمة تعذيب البرئ الذي لم يجن ذنباً ما ؟ فلا شك إذن بان الله بامانته يسوع المسيح البار على الصليب خالف العدل والرحمة معاً .

واعلموا ان اتكالكم على دم يسوع ابن مريم خطأ محض اذ ليس في امكانه نجاتكم ولو صلب الف مرة . ان النجاة تحصل بالايمان والمحبة و الايقان والعرفان الكامل . وكما ان نوحا وابراهيم وموسى وغيرهم من الانبياء وكذلك مئات الألوف من القديسين الصالحين وصلوا بالله و ظفروا بالنجاة الحقيقية من دون ان يكون المسيح أو غيره فداء عنهم كذلك هو الآن باب النجاة مفتوح في الدين الاسلامي لكل انسان من دون احتياج الى سفك دم صالح برئ . ولا يخفاكم ان الله ليس هو عادلاً فحسب بل هو مالك أيضاً ولذلك لم يذكر الله في القرآن المجيد أنه عادل يوم الدين بل قال (مالك يوم الدين) والمالك مختار في امر مملوكه المجرم ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه . ولا يعد عفو المالك عن ذنب مملوكه خلاف العدل ابداً وتوجد شواهد كثيرة في العهد القديم تدل على ان الله غفر لبني اسرائيل ذنوبهم بالتوبة والرجوع اليه . وكذلك تكلم المسيح عن غفرانه الخطايا بدون فداء كما قال للمفلوج : (قم يا بني مغفورة لك خطاياك — متى صح ٩) و كذلك وصاهم ان يدعوا الله في صلواتهم قائلين (واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين الينا — متى صح ٦) .

جعل الانسان العاجز إلها من دون الله كما هو ظاهر من النصوص التى ذكرت بعضاً منها .

فانتشار المبشرين المسيحيين في البلاد الاسلامية في عصرنا الحاضر

....

فاذا كنا نحن نغفر للمذنبين الينا اذا تابوا من ذنوبهم باكين متضرعين الينا من دون ان يقدموا الينا فداء وكفارة فان الله اولى وأجدر بأن يغفر للمجرمين ذنوبهم اذا تابوا اليه توبة نصوحا كما قال الله تعالى في القرآن المجيد (إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) .

وليس من المعقول أن يكون المريض زيداً فيأتي بكر ويتناول الدواء بدلاً منه وبذلك يزول المرض عن زيد ؟ ان هذا لمستحيل . وكذلك ليس من العدل في شيء أن يكون القاتل زيداً ويُلقى القبض على بكر ويشنق بدلاً منه ان هذا الا ظلم مبين . ولذلك نقرأ في مواضع عديدة من العهد القديم مايبطل الكفارة المزعومة ويهدم من الاساس جدارها الذي يشيده النصارى .

جاء في كتاب أرميا النبي ما نصه :—

(في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرماً واسنان الأبناء ضرست بل كل واحد يموت بذنبه كل انسان يأكل الحصرم تضرس اسنانه — أرميا صح ٢١) .

وورد في كتاب حزقيال النبي :—

(النفس التي تخطيء تموت. الابن لا يحمل من أثم الآب والاب لايحمل اثم الابن . بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون ، فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلا فحياة يحيا لا يموت . كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه . في بره الذي عمل يحيا . هل مسرة اسر بموت الشرير . يقول السيد الرب الابرجوعه عن طرقه فيحيا

وتوزيعهم الكتب المحتوية على الطعن في الانبياء اجمعين وجهل عامة المسلمين الاجابة عليها ونزولاً عند رغبات اخواني الكثيرين الاعزاء وطلباتهم المتوالية ، كل ذلك حداني لأن أؤلف هذا الكتاب في الرد على اعتراضاتهم ومطاعنهم العمياء في قداسة الانبياء الاطهار . وأيضاً كنت ألقيت محاضرة في مصر بدار جمعية مكارم الأخلاق بهذا الموضوع وطلب إليَّ بعض المستمعين أن انشرها فلم تسمح لي الظروف اذ ذاك .

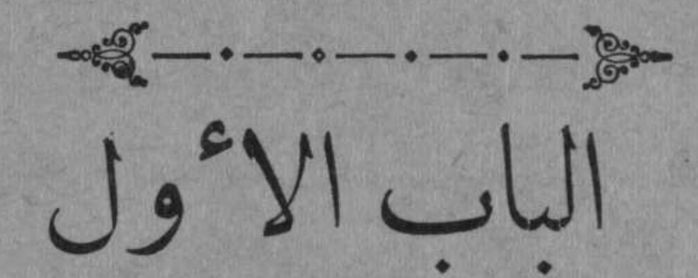
وسابقا كنت الفت كتابا في مسئلة ابطال الوهية المسيح ونقضت جميع تلك البراهين التى يدليها النصارى لاثبات الوهيته وأوردت فيه فوق ذلك كثيراً من الأدلة القاطعة على كونه بشراً رسولا ودعمت اقوالي كلها بالأدلة القاطعة على كونه بشراً رسولا وأثبت هذه الاقوال بالبراهين العقليه القاطعة وبنصوص كتبهم المقدسة التي يعتبرونها وحياً من الله . لذلك لا أتعرض للبحث في مسئلة الوهية المسيح وعدمها في هذا الكتاب ، وانما اكتفي باثبات عصمة الانبياء كلهم وبرائتهم من الآثام والخطايا التي توجب العقاب وتورث نار جهنم وأذكر الأمور التي لابد من ايرادها عند البحث في هذه المسئلة .

وقد كان الاجدر بالمبشرين المسيحيين ان يبينوا بقدر ما يمكنهم فضائل يسوعهم والاّ يتعرضوا لهذه المسئلة التي تمس عواطف المسلمين بطعنهم في الانبياء وفي سيد المعصومين محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين و بسردهم الروايات

واذا رجع البار عن بره وعمل اثما وفعل مثل كل الرجاسات التى يفعلها الشرير أفيحيا ٠كل بره الذي عمله لايذكر في خيانته التى خانها وفي خطيئته التى اخطأبها يموت — حزقيال صح ١٨) .

وللبحث مفصلا فى هذه المسئلة سأؤلف رسالة مستقلة فى المستقبل القريب ان شاء الله تعالى . منه .

الخرافيـة التي لا يعتقد بصحتها العلماء الأجلاء والمحققون من المسلمين . ولكنهم مع الأسف جعلوا الطعن في الانبياء القديسين الطاهرين شغلهم الشاغل ولم يطبعوا كتابا الاوعددوافيه مثالبهم وأدموا قلوب المؤمنين وآذوهم ايذاء شديداً وصاروا من المعتدين وتم ما أخبر الله في كتابه المبين « لتبلونَّ في اموالكم وانفسكم و لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم و من الذين اشركوا أذي كثيراً وأن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور — آل عمران » وها أنا حسب وصية الله هذه وقوله تعالى : « إدفع بالتى هى أحسن فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم » وقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هي أحسن » أبدأ بهذا الكتاب مقسما إياه الى فصول وابواب مستعينا بالله الذي اليه المرجع واليه المآب .



الباب الأول

وفيـه

ثمانية فصول

الفصل الأول

عقيدتنا فى كتب التفاسير

ليكن معلوما لدي كل من يجهل حقيقة الاسلام ان اقوال المفسرين ليست من اسس الاسلام ومراجعه حتى يستند عليها خصومنا عند ايراد مطاعنهم ومثالبهم في عصمة الانبياء عليهم السلام . وهي ليست بحجة يصح الاحتجاج بها

ضدنا وان المبشرين انفسهم لم يدعوا ابداً بتنزههم عن الخطأ فى التفسير بل كانوا يخطئون ويخطّؤن بعضهم بعضاً وكل واحد منهم حسبما رزقه الله من العلم كان يجتهد فى تفسير الآيات ثم يكل حقيقتها الى الله . والمجتهد قد يخطئ ويصيب فان اصاب فله اجران أجر اجتهاده وسعيه وأجر إصابته وإن اخطأ فله أجر فهو مأجور على كل حال طالما لا يقصد فى سعيه وجده سوى التنقيب عن الحقيقة بنزاهة واخلاص . والمفسرون لم يقولوا للناس لأن يقلدوهم تقليداً أعمى ولذلك لا يجوز لنا ان نقول فى حقهم الا خيراً سواء أصابو أم اخطأوا « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون » .

ثم لا يخفى ان كتبهم مرت على أيدي الكثيرين ممن أدخلوا فيها روايات لترويج افكارهم ومن المحتمل أيضاً ان الروايات التى جمعوها كانوا يريدون ان يشذبوها وينقحوها وانما عاجلهم الموت قبل ان يجدوا الى ذلك سبيلا . فالذين جاؤا بعدهم طبعوها ظنا منهم بان المؤلف كان يعتقد بصحة الروايات التى جمعها . ثم ان الروايات التى وصلت الى أيديهم مرت من العصر الذي أخبر رسول الله ﷺ عن فشو الكذب فيه ولذلك قال الامام جلال الدين السيوطي في كتابه الاتقان : « ان هذه التفاسير الطوال التى اسندوها الى ابن عباس غير مرضية ورواتها مجاهيل » .

وقال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه : « تفاسير المفسرين مملوءة بالغث والسمين » . ولذلك فنحن نغض النظر عند الجواب عن اقوال المفسرين التى تمسك بها القسيسون في مؤلفاتهم لبيان تفسير الآيات ونبحث في نفس الآيات ونبين لهم تفسيرها الذي يوافق العقل واللغة معاً ولا نسئل لماذا كتب المفسرون الأولون خلاف هذا التفسير كما ان القسيسين انفسهم لا يقبلون ان يجعلو انفسهم مسؤلين عما كتب شراح الاناجيل كما لا يخفى على كل من جرى بينه وبينهم مكالمات ومباحثات دينية وفضلا عن ذلك فانهم ينكرون التراجم المتداولة

بين ايدي الناس أيضاً و التى اصدرتها جمعياتهم الدينية التى اخذت على عاتقها مسئولية نشر تعاليم المسيح الحقيقية . وبناء على ذلك نأخذ من التفاسير ما صفا وندع ما كدر ومن أجل ذلك تجدون بعض تفاسيرنا التي نذكرها فى هذا الكتاب مذكوراً فى كتب الأولين .

وامر آخر لابد من ذكره أيضاً وهو ان كل روايـة تخالف القرآن المجيد لا تكون حجة علينا كما ذكر صاحب التوضيح بعد ان اورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « تكثر لكم الاحاديث بعدي فاذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فاقبلوه وما خالف فردوه » قال : (فدل هـذا الحديث على ان كل حديث يخالف كتاب الله تعالى فانه ليس بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وانما هو مفترى) .

وغرضي من ذكر هـذا الأمر هو انه لا يجوز لخصومنا ان يحتجوا علينا الا من القرآن المجيد والروايات التي توافقـه ولا تخالفه . ولذلك فانني اثبت اولاً عصمة الانبياء كلهم من آيات الذكر الحكيم ثم أرد على تلك المطاعن التي ذكرها القسيسون فى كتبهم محاولين اثبات عدم عصمة الانبياء من الآثام التي يستحق مرتكبها نار جهنم .

هذا وقد اعتقد اكثر المحققين من علماء الاسلام بعصمة الانبياء الكرام واما الذين انكروها فهم قليلون جداً بالنسبة الى قائليها فاذا احتجَّ احد بقولهم على عـدم عصمة الانبياء فيجوز لنا ان نقول لهم بالمثل أيضاً ان المسيح غير معصوم ونحتج ببعض اقوال العلماء المسيحيين انفسهم لان فرقـة بيلائد كانت تنكر عصمة المسيح ولم تكن تنزهـه عن الآثام وكذلك كانت فرقـة ادونائت تعتقد بأن مؤسس الدين المسيحي لم يكن الا مثل مؤسسي الديانات الاخرى ولم تكن له اية ميزة عليهم وهذه الطائفة كانت من أكبر الطوائف التي وجدت في اوائل المسيحية وان اكثر اليهود الذين دخلوا فى المسيحية كانوا من جملة اعضاءها . وكذلك ابيلارد كان يعتقد بأن يسوع لم يكن منزها عن

الضعف البشري .

واما وجود رجال معصومين كالمسيح فتشهد له الاناجيل أيضاً .

—.—.—.—.—

الفصل الثاني

هل يسوع المسيح وحده معصوم ؟

يدعى المبشرون المسيحيون ان العصمة للمسيح وحده وأما ما سواه من البشر فكلهم مخطئون .

وبمثل ذلك أجابني مسيحي فى حيفا اثناء محادثة جرت بيني وبينه فى هذه المسئلة فسألته وكيف ذلك ؟ قال هكذا يقول القرآن وإنه بين خطيآت لجميع الانبياء فقلت له هل بامكانك ان تذكر لي خطيئة ما من القرآن المجيد لاسماعيل وذي الكفل وشعيب وصالح واسحاق عليهم السلام ؟ فسكت ولم يحر جواباً .

وانني اذكر الآن فى هذا الفصل من كتب النصارى المقدسة بان يسوع لم يكن وحده معصوماً باراً كاملا من دون الناس بل كثير منهم كانوا مثله في البر والعصمة .

١— يظهر من انجيل يوحنا الاصحاح التاسع ان اليهود كانوا يعتقدون بعصمة الانبياء لانه لما بلغهم ان يسوع فتح عيني الاعمى قال قوم من الفريسيين هذا الانسان ليس من الله لانه لا يحفظ السبت وآخرون قالوا كيف يقدر انسان خاطيء ان يعمل مثل هذه الآيات ولذلك لم يصدق اليهود أنه كان أعمى فابصر حتى شهد ابواه بذلك ثم طلبوه مرة ثانية وسألوه وقالوا له نحن نعلم ان هذا

الانسان خاطيء فاجاب ذاك وقال أخاطيء هو لست أعلم شيئا وانما اعلم شيئا واحداً اني كنت اعمى والآن أبصر حتى قال ان فى هذا عجباً انكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عيني ونعلم ان الله لا يسمع للخطاة ولكن ان كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع » .

فهذه المكالمة التى جرت بين اليهود والأعمى اليهودي تدل بدلالة واضحة على اعتقادهم بان الانبياء الذين أروا آيات عجيبة وأظهروا معجزات باهرة وكان الله يسمع لهم ما كانوا خطاة بل كانوا معصومين .

٢— ان الروم الكاثوليك يعتقدون بعصمة مريم عليها السلام وبقدسيتها مثل يسوع المسيح وانها لم تكن خاطئة ابدا وكذلك يعتقدون بقداسة البابا وعصمته لكونه خليفة لبطرس بالرغم من ان المسيح كان قال له مرة (اذهب عني يا شيطان — متى صح ١٦) .

٣— ورد فى رسالة عبرانيين صح ٧ ما نصه :—

(لان ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلى المترجم اولا ملك البر ثم ايضاً ملك ساليم اي ملك السلام بلا أب بلا ام بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهنا الى الأبد) . فهل بامكان احد ان يقول بأنه كان خاطئاً ولم يكن معصوما مثل يسوع المسيح ؟

٤— ان زكريا وامرأته كانا كلاهما بارين امام الله سالكين في جميع وصايا الرب واحكامه بلا لوم (لوقا صح ١) .

٥— يوحنا المعمدان ايضاً كان معصوما وقد أخبر عنه الملاك قبل ولادته أنه يكون عظيما امام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب ومن بطن امه يمتلىء من الروح القدس ويرد كثيرين من بني اسرائيل الى الرب إلههم ثم تنبأ عنه زكريا وقال له : وانت ايها الصبي نبي العلى تدعي (لوقا صح ١) نعم ان يوحنا المعمدان هو ذاك المعصوم الذي احتاج يسوع لان

يعتمد منه قائلا : (اسمع الآن لأنه هكذا يليق بنا ان نكمل كل بر) فهل يمكن ان الشخص الذي اعتمد منه يسوع المسيح وكان ممتلئاً من بطن أمه من الروح القدس كان خاطئاً ولم يكن معصوماً ؟ حاشا وكلا !! .

٦— كان الانبياء قديسين ومنزهين عن الخطايا كما ورد في لوقا الاصحاح الأول واعمال الاصحاح الثالث ما نصه :—

(كما تكلم بفم انبياءه القديسين منذ الدهر) .

٧— ثم ان الوزراء والمرازبة كانوا يطلبون علة يجدونها على دانيال من جهة المملكة فلم يقدروا ان يجدوا علة ولاذنباً لأنه كان أمينا ولم يوجد فيه خطأ ولاذنب) . (دانيال صح ٦) قال دانيال : (لأني وجدت بريئاً قدام الله وقدامك أيضا أيها الملك — دانيال صح ٦) .

٨— قال الملك حزقيال يارب كيف سرت أمامك بالامانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك فان الله زاد في عمره خمس عشرة سنة (الملوك الثاني صح ٢٠ واشعياء صح ٣٨) .

٩— قال الله : عبدي أيوب ليس مثله في الأرض رجل كامل مستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر (أيوب صح ١) . قال أيوب :—

يا إلهي انا برىء بلا ذنب زكي انا ولا اثم لي (أيوب صح ٣٣)

١٠— وكان فيها هؤلاء الثلاثة نوح ودانيال وأيوب فانهم انما يخلصون انفسهم ببرهم يقول السيد الرب (حزقيال صح ١٤) .

١١— قال الله : كان عهدي مع لاوي للحياة والسلام واعطيته اياها للتقوى فاتقاني ومن اسمي ارتاع هو وشريعة الحق كانت في فيه واثم لم يوجد في شفتيه سلك معي في السلام والاستقامة وارجع كثيرين عن الاثم (ملاخي صح ٢) .

١٢— طوبى للكاملين طريقا السالكين في شريعة الرب طوبى لحافظي

شهاداتـه من كل قلوبهم يطلبونه أيضا لايرتكبون اثما في طرقـه يسلكون (المزمور ١١٩).

ان مثل هذه الاقوال والنصوص التي نقلتها من العهد القديم والانجيل تدل بكل وضوح على ان كثيرين من اهل الله كانوا معصومين كيسوع المسيح فكون المسيح بارآ ومعصوما من الآثام لا دليل فيه على الوهيته والا للزم منه أن يكون جميع المعصومين الذين ذكروا آنفا آلهـة مثله.

الفصل الثالث

الجواب الالزامي

هل كان يسوع معصوماً؟

لا شك ان الجواب الالزامي لايكون جوابا حقيقيا ولكنـه قـد يهيء الخصم ويساعده على تفهم الجواب الحقيقي وقبوله لأنه لما يرى ان نفس الاعتراض الذي يورده على خصمه يرد عليه أيضا يشغل قوته الفكرية و يوسع صدره لتلقى الجواب الحقيقي أيضا لذلك رأينا من المناسب ان نجيب المؤلفين المسيحيين جوابا الزاميا وايضا لكي يتم قول المسيح الوارد في انجيل متى الاصحاح السابع ما نصـه :—

(لا تدينوا لكي لا تدانوا لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم ولماذا تنظر القذى فى عين اخيك و أما الخشبة التي فى عينك فلا تفطن لها ام كيف تقول لأخيك دعني أخرج القـذى من عينك وها الخشبة فى عينك).

وثالثا لعلمي ان القسيسين لا يعتقدون بصحة كتاب القرآن المجيد لوذكرت منه شيئا فى حق يسوع المسيح الذي يعتقدون به إلها من دون الله كما قال الخواجه غبريل في كتابه مباحث المجتهدين ما نصه :—

(ان استشهادي بالقرآن والاحاديث لا يلزمني ان اعترف بصحتها وقوانين البحث المنطقية والشرائع المدنية تجيز لي ذلك) .

وها أنا اسرد من الاناجيل تلك الأمور التي تدل على ان يسوع لم يكن معصوما من الصغائر والكبائر كما يدعى النصارى ، وان كان استشهادي بها لا يلزمني ان اعترف بصحتها وقبل ان أبدأ بسردها اتقدم الى اخواني المسيحيين بنفس تلك الالفاظ التى تقدم بها الى المسلمين الخواجه غبريل واضعا بدل كلمة (مسلم) مسيحي وهذا نص ما قال :—

(ليس في البحث مجاملة — يا امي ارحميني — فلا يؤاخذني اخي المسيحى اذا وجد في كلامي مايثقل على مسمعه لانني اقصدبه تقرير الحقائق لا الحط من كرامة معتقده ولا يجوز ان اخالف معتقدي لارضيه لان المقام مقام بحث كما انني لا انتظر منه ذلك بيداني اعد القارئ الكريم انني اتجنب كل كلام يشتم منه رائحة الاغاظة او التشفي او الاحتقار — مباحث المجتهدين ص ٥) .

١— ان يسوع اعترف بنفسه بانه ليس بصالح (مرقس صح ١٠)

٢— ان يسوع المسيح ولد من بطن مريم (متى صح ١ و لوقا صح ٣) ومعلوم ان المرأة هي التى أغويت كما قال بولس : وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي (رسالة بولس الاولى الى اهل تيموثاوس صح ٢) والآن اسمعوا حكم مولود المرأة :—

(١) من يخرج الطاهر من النجس لا أحد (أيوب صح ١٤) .

(٢) فكيف يتبرر الانسان عند الله و كيف يزكو مولود المرأة

(ايوب صح ٢٥) .

فولادة يسوع المسيح من دون نطفة أب لا يبروه بل يجعله حسب اعتقاد المسيحيين بتوريث الخطيئة اعظم ذنبا من الذين ولدوا من أبوين .

٣— حينئذ اجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد ان نرى منك آية فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية (متى صح ١٢) . فيظهر من هنا انه كان معتاداً على السب والشتم لأنهم سئلوه بكل ادب واحترام وخاطبوه بلفظ يامعلم ولكنه ماعتم ان سمع سوآلهم حتى بادرهم بالشتم والسباب .

٤— اكرم اباك وأمك (متى صح ١٩) ولكنه خالف امر الله هذا اذ لم يكرم امه و لم يلتفت اليها بل تركها واقفة حينما جاءت تطلبه و زاد الطين بلة اذ قال في جوابه للمخبر : من هي امي و اخوتي ؟ متى صح ١٢) كذلك لما قالت له امه ليس لهم خمر قال لها : مالي ولك يا امرأة (يوحنا صح ٢) . قولوا بالله أهكذا يكون احترام الام وهل يجوز زجرها ؟ او هل يليق بشأن الصالح ان ينادي امه بلفظ يا امرأة ؟

٥— قال لهم يسوع ايضا الحق الحق اقول لكم اني انا باب الخراف وجميع الذين اتوا قبلي هم سراق ولصوص (يوحنا صح ١٠) مع ان هذا القول هو غير صحيح وخلاف الواقع لأن موسى عليه السلام والانبياء الآخرين الذين اتوا قبله لم يكونوا سراقا ولا لصوصا قط .

٦— ثم قال لا تظنوا اني جئت لا نقض الناموس ما جئت لا نقض بل لا كمل (متى صح ٥) لكنه لما قدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة امسكت في الزنا لم يأمر برجمها وخالف الناموس (يوحنا صح ٨) . وكذلك قال في (يوحنا الاصحاح ٨) ما نصه :

(وايضا في ناموسكم مكتوب ان شهادة رجلين حق انا هو الشاهد لنفسي ويشهدلي الأب الذي أرسلني) مع ان الناموس لا يوجد فيه بان شهادة المدعي لنفسه تكون حقاً .

٧— قال يسوع : جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة (متى صح ١١) ولم ينف عن نفسه هذه الامور .

٨— كان عيد اليهود عيد المظال قريباً فقال له اخوته ان يذهب الى اليهودية ويرى الاعمال التى يعملها تلاميذه قال اصعدوا أنتم الى هذا العيد انا لست اصعد بعد الى هذا العيد ولكن لما صعد اخوته صعد هو ايضاً الى العيد لا ظاهراً بل كأنه في الخفاء (يوحنا صح ٧) كأنه خدعهم وأخبرهم خلاف ما كان يضمر في قلبه .

٩— وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد ياسيد اتبعك اينما تمضي فقال له يسوع : للثعالب أوجرة ولطيور السماء اوكار وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه (لوقا صح ٩) ان قوله هذا لم يكن صحيحاً لأنه كان له مكان يمكث فيه وينزل عنده ضيوف ايضاً كما ورد في انجيل يوحنا ما نصه :—

(فقالا — تلميذا يوحنا المعمدان — ربي الذي تفسيره يا معلم اين تمكث فقال لهما تعاليا وانظرا فاتيا ونظرا اين كان يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم (يوحنا صح ١) .

١٠ لما أخرج يسوع الروح النجس المسمي باللجئون من المجنون الذي كان مسكنه القبور طلب اليه كثيراً ان لا يرسلهم الى خارج الكورة وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى فطلب اليه كل الشياطين قائلين أرسلنا الى الخنازير لندخل فيها فاذن لهم يسوع للوقت فخرجت الارواح النجسة ودخلت في الخنازير فاندفع القطيع من على الجرف الى

البحر وكان نحو الفين فاختنق في البحر واما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا في المدينة وفي الضياع (مرقس صح ٥) . فالامر الظاهر ان سبب هلاك الخنازير هو يسوع اذ سمح للشياطين بالدخول في الخنازير وهكذا اضر يسوع اصحابها ضرراً فادحا ولما رآه رجال الكورة وانه أضرهم لم يريدوا ان ينظروا اليه وطلبوا اليه ان يذهب من تخومهم .

١١— كذلك هو أضر بصاحب تينة لما خرج من بيت عنيا وجاع فنظر شجرة تين من بعيد وعليها ورق فجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء ولم يجد عليها شيئا سوى الورق قال لها : لا يأكل احد منك ثمراً الى الابد فيبست التينة (مرقس صح ١١ ومتى صح ٢١) فهو بدلا من ان يفيد صاحب التينة بأن يدعولها فتثمر ويأكل هو منها ايضاً دعا عليها فيبست فاضر صاحبها ولم يستفد هو ايضاً بأكله منها .

١٢— واعتمد يسوع من يوحنا فى الاردن (مرقس صح ١) وهذه المعمودية كانت معمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما قال مرقس ما نصه :—

(كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مرقس صح ١) فلو لم تكن له حاجة الى التوبة لمغفرة الخطايا لما اعتمد لان اعتماده بدون هذا كان لغواً لا معنى له .

وعلى كل حال فانه يوجد فى الاناجيل كثيراً من مثل هذه الامور التي تثبت بان يسوع المسيح لم يكن باراً أكثر من الآخرين . وقد ذكرنا هذه الامور كنموذج لكي يعرف الخصوم بان الأمور التى يطعنون بها فى قداسة الأنبياء الكرام من القرآن المجيد يوجد اكثر منها واشد وضوحا فى حق المسيح نفسه فى الاناجيل فهل هل كان المسيح خاطئاً وآثما لوجود هذه الأمور فيه ام كان معصوماً ؟

الفصل الرابع

هل جميع بني آدم مخطئون ؟

وليعلم ان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الذنوب والآثام التى يعاقب الانسان عليها ويلقى فى نار جهنم ولكنهم مع ذلك ليسوا بمعصومين عن لوازم البشرية كالنسيان (١) وغيره. والأنبياء هم طائفة اصطفاهم الله من بين الخلق لهداية الناس وارشادهم فهو يكلؤهم ويحفظهم من كل امر يوجب الطعن في قداستهم وليس كما يقول النصارى بانهم مع ارتكابهم كل رذيلة حتى جريمة الزنا يبقون انبياء، بل هم يكونون لله ويكون الله لهم ويتربون

---

(١) يقول مرقس فى الاصحاح الثاني ما نصه : (فقال لهم يسوع اما قرأتم قط ما فعله داؤد حين احتاج وجاع هو والذين معه كيف دخل بيت ألله فى ايام ابياثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله الا للكهنة واعطي الذين كانوا معه) وقد أخطأ يسوع في بيان هذه الواقعة ونسى ان هذه الواقعة حصلت في أيام نوب أخيمالك الكاهن كما هو مذكور في صموئيل الاول الاصحاح ٢١ ما نصه : (فجاء داؤد الى نوب الى أخيمالك الكاهن فاضطرب اخيمالك عند لقاء داؤد وقال له لماذا انت وحدك .... فاعطاه الكاهن المقدس لأنه لم يكن هناك خبز الا خبز الوجود المرفوع من امام الرب) ويظهر من صموئيل الاول الاصحاح ٢٢ أن ابيأثار كان ابن اخيمالك ونصه فيمايلي: (فنجا ولد واحد لأخيمالك ابن أحيطوب اسمه ابيأثار وهرب الى داؤد) فيسوع المسيح كذلك كان يخطيء ناسياً في بعض الاحيان فافهم .

في حضن محبة الله وتوجد آيات كثيرة في القرآن المجيد تدل على عصمتهم ولكن قبل ايرادها نجيب على تلك الشبهات التى أوردها المؤلفون المسيحيون في مؤلفاتهم من القرآن والاحاديث محاولين اثبات مزاعمهم بان جميع بني آدم وحتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم آثمون ومخطئون .

الشبهة الأولى — ممايدل على فساد الناس اجمعين الآية الآتية : (ان النفس لامارة بالسوء) إذن الأمر مؤكد ان النفس في كل انسان ميالة الى القبائح وشديدة الرغبة بالمعاصي ولا يخفى ان أل في كلمة النفس (١) هي للجنس (مباحث المجتهدين) .

الجواب — ان الخواجه غبريل لو قرأ الآية كلها لعلم فساد ما ذهب اليه وعلم ان هذه الآية لا تنقض ما ندعي به من عصمة الانبياء لأن الآية تستثني بعض النفوس كما قال تعالى : (ان النفس لامارة بالسوء الا من رحم ربي) ونحن ايضاً نقول بان الانبياء بعناية الله ورحمته يبقون معصومين كي يكونوا اسوة للناس في الاتيان بالأعمال الصالحات و التجنب عن الرذائل والسيآت ويتغلبون على النفس الامارة بفضل الله ورحمته .

نعم ان النفس الامارة سجيتها أنها تميل بالانسان الى السيآت ولكن يمكن له أن يكبح جماحها بواسطة النفس اللوامة التى ذكرها الله في الآية :

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) اي التى تعذل الانسان وتوبخه على كل فكرة خبيثة تسري الى قلبه الطاهر السليم وهكذا يشتد اللوم والتعذال الى درجة يصل بها الانسان رويداً رويداً الى آخر مرقاة من مراقى التقدم الروحاني وتخلو نفسه فيها عن كل ضعف ووهن وتمتلئ من الملكات الروحانية وتتصل بربها اتصالاً لا تكاد تحيا بدونه طرفة عين. فهي تنطلق تجرى الى الله مندفعة

---

(١) يقول المسيح عيه السلام : (نفسي حزينة جداً) .
فهذه الآية إذن تشمل نفس يسوع المسيح ايضا .

اندفاعا شديداً لا يحول دونه جائل ونجد جنتها في هذا العالم كما تشير اليه الآية القرآنية (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) . ففي مثل هذه الحال تغتذى النفس من ربوبية الله وتستقي سلاف المحبة الالهية وتدخل الملائكة عليها من كل باب ولا يقدر الشيطان ان يجد اليها سبيلا للأمر بالشر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الله سلطه على شيطانه فلا يأمره الا بخير وليس معناه بان الشيطان كان يأمره بخير والا لا يكون شيطانا وانما المراد ان تأثيرات الشيطان التي تقع في نفوس الناس قد حفظ الله نفس رسوله صلى الله عليه وسلم منها فلا تجد تأثيراته وتحريكاته السيئة الى نفسه سبيلاً إلا ان تنقلب خيراً كمثل الماء الكدر اذا ما مر من المصفاة فانه يخرج منها رائقا صافياً وهكذا يكون الأثر الذي يلقيه الشيطان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلبه الطاهر النقي يصفيه ويرمي خارجا ما كان فيه من الشر ويقبل ما كان فيه من الخير وهذا هو معنى اسلامه . ولما يصل الانسان الى هذه الدرجة يكون محفوظاً من تأثيرات الشيطان إذ انه يدخل حينذاك في زمرة المخلصين الذين لا يقدر الشيطان أن يتسلط عليهم او يغوهم . ولكن خواجه غبريل ورفقاؤه يحق لهم أن يقولوا انه لا يمكنهم ان يطهروا نفوسهم من الذنوب والاجرام الا بالايمان بانتحار يسوع المسيح لأجلهم . وان يعملوا ، بحجة ان النفس لأمارة بالسوء ، ما يريدون من الاعمال السيئة واما نحن المسلمون فنرى حسب تعليم القرآن المجيد ان النجاة لا تحصل للانسان الا ان يسعى لان يزكي نفسه في هذا العالم ويحليها بالاخلاق الحسنة كما قال تعالى (قد أفلح من زكاها و قد خاب من دساها) .

واما الرواية التي ذكرها الخواجه غبريل فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم وأكل من الشجرة فنسيت ذريته فلا تدل على أن الانبياء غير معصومين من الآثام التى يعاقب عليها الانسان في الآخرة بل ان لفظ « نسي » وكما سنبين في موضعه يدل ان ما صدر من آدم عليه السلام كان من النسيان و النسيان

لا يعاقب عليه يوم القيامة ابداً .

الشبهة الثانية — ومما يدل على ان الجميع اخطأوا الآية الآتية ايضاً.

(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) ألا يدل هذا دلالة واضحة على ان جميع الناس يرتكبون المعاصي فمنهم من يعذب قليلا ثم يعفى عنه ومنهم من يخلد في النار — (مباحث المجتهدين) .

الجواب — لفهم تفسير الآية المذكورة لابد من أن يفهم القارئ

اولا امرين « الأول » ان من عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى : (حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم) . وقوله : (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) وقوله : الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون (الزخرف) وكقول امرئ القيس .

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد

وذلك من نبأ جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

ويقال لهذا النوع في علم البديع — الالتفات — (الثاني) ان وجوب دلالة — ثم — على الترتيب مع التراخي مخصوص بعطف المفرد. وقد تجيء — ثم — لمجرد الاستبعاد نحو : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها . وقد تجيء بمعنى الابتداء نحو : ثم اورثنا الكتاب . وبمعنى الواو التى بمعنى مع نحو : ثم كان من الذين آمنوا . اي مع ذلك كانوا آمنوا ولمجرد الترقي كقول الشاعر :—

ان من سار ثم سار ابوه * قبله ثم قبل ذلك جده

وللترتيب في الاخبار كما يقال بلغني ماصنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب . وقد تجيء فصيحة لمجرد استفتاح الكلام وزائدة نحو : لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم (محيط المحيط) .

فبعد أن علمنا معاني — ثم — نقول ان الله بعد ذكر الانبياء قال (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ثم بعد ذلك وصف الجنة فقال : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا » ثم ذكر الله سبب تركهم الصلاة واتباع الشهوات وهو عدم ايمانهم بالآخرة والبعث بعد الموت وهذه حقيقة لا تنكر وهي ان سبب انتشار الفسق والفجور وترك العبادات هو الضعف في العقيدة وعدم الايمان بالآخرة لذلك ان الله ذكر اعتراض الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات والرد عليه بقوله تعالى (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا . فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منكم — هنا التفات والمراد منه اولئك الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتدل عليه القراءة الثانية وان منهم — الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا — ثم هنا للترتيب في الاخبار اي انتم تردون جهنم واما المتقون

فننجيهم (١) منها وليس المراد بانكم تردون وتخرجون منها بسرعة بل ونذر الظالمين فيها جثيا . اي نترككم في جهنم .

وتوجد آيات كثيرة فى القرآن تدل على ان المتقين لايدخلون جهنم ابداً . منها قوله تعالى : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى أذاجاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوي المتكبرين . وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذ جاؤها وفتحت ابوبها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . الزمر) .

---

(١) وليعلم ان الله استعمل في كلامه الالفاظ مصروفة عن حقائقها كما قال الله تعالى : (واقرضوا الله قرضاً حسنا) مع ان حقيقة القرض هي ان يطلب الانسان عند الاضطرار من انسان آخر دينا بشرط الأداء الى اجل مسمى ولكن الله مستغن عن كل احتياج فلم يرد الله من استعمال لفظ القرض الا الأداء فقط بان الله أخذ على نفسه عهداً بأن الذي ينفق في سبيله بصدق واخلاص وحسن نية يعوضه احسن منه . وكذلك قال (ولنبلونكم بشيء من الخوف) مع ان حقيقة الابتلاء والامتحان ان يكون المبتلي جاهلا النتيجة التي تظهر بعد الامتحان ولكن الله ليس كذلك بل الغرض من ابتلاء الله هو ان يظهر على المبتلي حقيقة ايمانه وان يظهر له وللآخرين اخلاصه او نفاقه ومحاسنه الباطنية وعيوبه المخفية . كذلك المراد من لفظ النجاة في هذه الآية ان المتقين ينالون مرادهم ولا يمسهم السوء كما قال تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للكافرين . وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون .

ومنها قوله تعالى : (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) .

والمعنى الثاني لهذه الآية ان أل في الظالمين تفيد التخصيص و المراد ان الظالمين على قسمين (القسم الأول) المتقي الظالم الذى ينجيه الله و قد مدحه في الآية : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) (والقسم الثاني) الكفار والمشركون الظالمون الذين يكبون في نار جهنم جزاء بما كانوا يعملون . وقد ذكر الله في هذه الآية ان المتقي ايضاً تمسه النار وتفصيله ان المتقين يلقون انفسهم في نار هذه الدنيا التي هي دار الابتلاء والامتحان فهم يذوقون فيها انواعا من المخازي والعذاب وتنزل عليهم الخطوب والمصائب والشدائد تترا ويزلزلون زلزالاً شديداً ويضطهدون اضطهاداً مروعا وتحدق بهم المخاطر والمخاوف من جميع الجهات ولكنهم مع ذلك لا يتقاعسون ولا يتوانون ولا يجبنون . فتمثل لهم جهنم في هذا العالم بصورة التكاليف الشاقة التي لا يستطيع احدغيرهم الصبر عليها وتكون اعراضهم واموالهم وانفسهم مستهدفة للمخاطر . فهم يقبلون بكل سرور دخول هذه الجحيم المتأججة في سبيل الله ويردون حياض الموت بسرور وابتسام قتلاً لأهواءهم النفسانية . وان الابتلاء لما يستوفي حقه يهبهم الله من سلاف المحبة الالهية وعندها يرون انفسم في الجنة التي لا خوف على الداخلين فيها ولا هم يحزنون .

والى هذا المعنى تشير الآية القرآنية : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا و أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) والى هذا ايضا يشير ما روى عن مجاهد في قوله تعالى وان منكم الا واردها قال من حُمَّ من المسلمين فقد وردها . وفي الخبر : الحمى كير من جهنم وهى حظ المؤمنين من النار . و عن عائشة رضى الله عنها ان النبي ﷺ قال : الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء

وكذلك قال الحمى حظ امتي من جهنم . وقال الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامـة .

وورد في الحديث حفَّت الجنـة بالمكاره وحفَّت النار بالشهوات فالذين يتخلون عن الشهوات النفسانية التي هى اصل النار ويوردون انفسم الموت عليها ينجون يوم القيامة من النار ولكن الذين عاشوا مرحين متبخترين فى مراتع الشهوات التي حفت النار بها يصلون فيها لأن الانسان الفاسق يحمل فى جوفه جحيما من الاهواء والشهوات ويشعر فى نفسه بلفحاتها اللذاعة عند الخيبة والخسران وعدم الوصول الى مآربه ولذلك فانه حينما يقذف بعيداً عن شهواته الفانية ويدركه القنوط الأبدي يكشف الله له تلك الأماني وحزازات الحسرات فى صورة النار الملتهبة .

وهنالك معنى آخر لهذه الآية وهو ان الله يرى كل شقي وسعيد يوم الآخرة بصورة تمثيليه هل هوقد سلك سبل السلام فى الحياة الدنيا او اختار طرق جهنم وسبل الهلاك والموت . ففي ذلك اليوم يكون سبيل السلام الذي هو الصراط المستقيم وقل من يمشي عليه بالاستقامة وهو دقيق جداً ممثلاً للناس بصورة صراط أرق من الشعرة وأحد من السيف ويرى العارف السالك عليه بعينه الروحاني ان على يمينه ويساره جحيما ملتهبـة ولمانؤمر بالمرور عليه فاذا كنا من السالكين صراط الله المستقيم فى الدنيا والمسارعين فى الخيرات والسـابقين فى الفضائـل والكمالات نجتازه سراعا كلمح البصر او كسرعة البرق طائرين بقوة نور الايمان وما ذلك الا لاننا مررنا عليه قبل ذلك فى الحياة الدنيا ولايسري الى قلبنا خوف ولا جزع كما قال الله تعالى (من جاء بالحسنه فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون) وكذلك قال (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) .

ولكن الذي لم يسلك الصراط المستقيم بالاستقامة فى الحياة الدنيا لايقدر ان يمشي عليه فى ذلك اليوم ايضا فيسقط ثم يلقى فى جهنم مذؤما مدحوراً كما قال تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا

كنتم تعملون) .

وليس معنى الورود الدخول فقط كما قال قوم انه ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن ابداً لقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) . فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى (ولما ورد ماء مدين) — اراد به الحضور — ومن قال بدخول المؤمنين النار ايضاً يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى اخبرهم انهم لا يحزنهم الفزع الاكبر وفى الحديث (تقول النار جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي) . وعن جابر انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة .

وعن ابن مسعود أنه قال وان منكم الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة عليها .

فلا يوجد في الآية ما يدل على ان جميع الناس يعذبون في الآخرة في جهنم أبداً .

الشبهة الثالثة — يقول الخواجه غبريل وما يدل على ان الجميع اخطأوا الآية الآتية (ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطانا فهو له قرين) .

الجواب — ان هذه الآية انما تدل على ان كل من يتعامى عن ذكره اي يعرف انه الحق ثم يتجاهل ويتعامى عنه كقوله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم) نقيض له شيطانا فهو يكون قرينه لأن الانسان خلق مدني الطبع فالرجل الذي يؤثر الباطل على الحق ولا يختار مجالسة الصلحاء وصحبة الابرار يكون قرناؤه واصحابه الشياطين والاشرار . ولا نعلم كيف استدل الخواجه غبريل

من هذه الآية على كون جميع البشر خاطئين .

الشبهة الرابعة — ويستدل على ان الجميع اخطأوا من هذه الآية : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من احد ابداً ولكن الله يزكى من يشاء) المعنى بيّن ان الانسان فاسدخاطئ ، ولولا فضل الله ورحمته لما تزكى احد مطلقاً .

الجواب — بما ان الأنبياء وعباد الله المخلصين يكونون مورد فضل الله ورحمته فانه يزكيهم ويحفظهم من جميع الآثام والاجرام التي يعاقب عليها الانسان في الآخرة ، فلا تخالف هذه الآية ما ادعيته من عصمة الأنبياء الكرام .

توريث الخطيئة — واما القول بان ذرية آدم عليه السلام ورثت عنه الميل الى الخطيئة فليس بصحيح والاّ فليقل لنا المسيحيون من أين جاء الميل الى ألخطيئة في آدم عليه السلام ومن أين ورثها ؟ ان الاسلام يعلمنا بان كل مولود يولد على الفطرة — اي الفطرة الاسلامية — فابواه يهودانه و ينصرانه ويمجسانه . وكذلك كانت تعتقدفرقة البيلاجيسيين اصحاب بيلاجوس البريطاني ورفيقه سلستيوس الارلندي و كانا كلاهما راهبين في رومية وقد رأيا ان مما يمنع السعاده الأبدية القول بسريان الخطية الجسدية الى نسل آدم والاعتقاد بأن ألانسان يحتاج الى تجديد القلب بنعمة من الله تمنعه من الاقدام على الخطية وتقبل به الى التوبة ومن ثم شرعا في ابطال هاتين العقيدتين وعلّما الناس بأن خطية آدم وحوّا لا يوآخذ بها احد من ذريتها وان امتناع الناس عن الخطية لا يتوقف على تلك النعمة وان الانسان موكول في الأعمال الى اختياره فمن عمل صالحًا فلنفسه و من اساء فعليها — كتاب سوسنة سليمان في اصول العقائد والأديان مطبوع في بيروت سنة ١٨٧٦ صفحة ١٤٧) .

ولوسلمنا بصحة توريث الخطيئة فيكون المسيح اكثر خطايا وذنوباً من الآخرين لأنه هو ايضا كان كما ذكرنا ابن الانسان راجع متى ١—١ يسوع

المسيح ابن داؤد . ومتى ٨—٢٠ اما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه . ومتى ١١—١٩ . جاء ابن الانسان يأكل و يشرب . و هكذا ورد في حقه فى الأناجيل الأربعة لفظ ابن الانسان نحو اربعين مرة . و معلوم ان المسيح ولد من بطن مريم عليها السلام راجع متى الأصحاح الأول ولوقا الاصحاح الثالث وان المرأة هي التي أغويت يقول بولس : (وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي — رسالة بولس الأولى الى أهل تيموثاؤس ٢—١٣) .

وهاهو حكم مولود المرأة فاسمعوه (١) من يخرج الطاهر من النجس لا أحد . ايوب ١٤—٤ . (٢) فكيف يتبرر الانسان عند الله و كيف يزكو مولود المرأة . ايوب ٢٥—٤ .

فلو فرضنا ان خطيئة آدم عليه السلام ٥٠ درجة تكون خطيئة حواء ضعفها على أقل تقدير اي ١٠٠ درجة لأنها هى التي تسببت باغواء آدم عليه السلام فالولد الذي يولد من أبوين يرث النصف من والده والنصف الآخر من والدته فيكون إرثه ٧٥ درجة واما الذي يكون من الام فقط فيأخذ حصتها بكاملها ويكون إرثه ١٠٠ درجة كاملة . فولادة يسوع المسيح من دون نطفة أب لا يبرره بل يجعله حسب اعتقاد المسيحيين بتوريث الخطيئة اعظم ذنباً من الذين ولدوا من أبوين ولا يخفى ان المسيح عليه السلام حسب تعليم القرآن المجيد لم يكن الا بشراً رسولاً كما قال تعالى : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام » وكذلك قال : « وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم » فالمسيح أيضاً كان رجلا (١)

---

(١) كذلك ان الله الحق عيسى عليه السلام بذرية نوح عليه السلام كما قال (و نوحا هدينا من قبل ومن ذريته داؤد وسليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون وكذلك نجزي المحسنين و زكريا و يحيي و عيسى و الياس كل من الصالحين) (الأنعام) فثبت انه كان انسانا محضا من ذرية نوح عليه السلام لكون امه من ذريته .

فاذا لم يقبل الخواجه غبريل ما ذكرناه من تفاسير الآيات فلا مندوحة له من قبول كون يسوعهم ايضاً يدخل النار وانه كان خاطئاً غير معصوم .

الفصل الخامس

الدليل العقلي و الوجداني

على عصمة الانبياء

ومن سنن الله التي لا تتغير هوانه لما ينهمك الناس في الغي ويرتكبون السيآت ويرتادون مراتع الشهوات ويتمرغون في حمئات الآثام والارجاس ويخلدون الى الأرض متبعين اهوائهم وتنطفئ جذوة محبة الله من قلوبهم ويضعف فيهم الايمان وتكثر الذنوب فعندها يرسل الله عبداً من عباده لاصلاحهم و يؤيده بالآيات والمعجزات لكي يظهر جلال الله وعزته وعظمته و يمكن محبته في افئدة الناس ويرجعهم الى ذكر الله ليتطهروا من اقذار الذنوب واوساخ الآثام وهو يكون اسوة لهم وقدوة يقتدي به وميزانا لتمييز الاخلاق الحسنة من الرديئة وبالنظر لكونه مظهر الله ونائبه في الورى فان الله يعصمه و يكلؤه من الذنوب والخطايا لأنه لايجوز ان يكون نائب القدوس الا قدوساً .

ولما علمنا ان النبي المرسل هو انسان كامل يرسله الله الى البشر ليهديهم الى الصواب ويرشدهم الى ما يحتاجون اليه من معرفة الله و طاعته و الاحتراز من معصيته ويحملهم على ما فيه حفظ كمالاتهم ومصالحهم الشخصية والنوعية في الدين والدنيا ويزجرهم عما يضرهم فيهما وليقربهم الى طاعة الله ويبعدهم عن معصيته وينبههم من رقدة الغفلة وينقذهم من ثورة الهوى والضلال فضروري

أن يكون هو معصوما من نقض الأوامر الالهية لأن نفوس البشر المحتاجة الى الاصلاح والترويض والارشاد والتقرب الى الله لا تنقاد لمن يدعوها الى الله والشريعة ويعظها ويوبخها ويزجرها عن شهواتها اذا كان هذا الداعي ممن يخالف اوامر الله ويتمرد على أحكامه وينقاد الى اهوائه وشهواته مع ادعائه المعرفة والرياسة الدينية فلذلك لا يصغي الى ارشاده عاقل ولا يعتني به لبيب بل على العكس يستهزئ الناس بمثل هذا الواعظ قائلين له إهد نفسك اولا واصلحها وأرشدها ثم التفت الى اصلاح غيرك وارشاده .

وثانياً فان صدور الذنب والعمل القبيح من الرسول الذي هو الرأس، والرئيس هو القدوة في الدين، يكون سبباً لأن يقتدي به سائر الناس لأنه هو قدوتهم وبعمله يصبح داعيتهم الى الاقدام على الذنوب والتهاون بالشريعة و ذلك لان الوجدان يشهد ويحكم بان الرئيس الديني الذي له صلة بالله تعالى اذا أذنب ولم يقدر ان يكبح جماح نفسه عن الشهوات فلا بدع ولا غرو اذا عمل مثله اتباعه ، وهم لا صلة لهم بالله مثله، ولجوا في اقتراف الذنوب واتباع الشهوات والاهواء واستساغوا كل منكر طالما هم يرون ان الله لم يعصم نبيه ورسوله ومن جعله قدوة لهم فكيف يعصمهم وليس لهم به صلة كصلة من اختاره لهدايتهم وارشادهم . و ما اصح مايلهج به الناس و هو القول الدارج على السنتهم : — اذا فسد العالِم فسد العالَم .

ونحن نرى ان الملوك لا يرسلون احداً لاصلاح رعاياهم المتمردين والخارجين على شريعة المملكة وقانونها الا اذا اطمئنوا اليه وتأكدوا من انه لا يخالف تلك الانظمة والقوانين ولا يخرج على اوامرهم التى يصدرونها اليه لكى يتم الاصلاح المنشود ولئلا تفسد الرعية بفساده وهم لو كانوا يعلمون الغيب و ما تخفي الانفس وما تعلن لعرفوا كيف ينتخبون والى من يطمئنون وعلى من يتكلون وكذلك هم لو وجدوا الى المعصوم سبيلا لما عدلوا عنه الى غيره ولما تخذوا منه بديلاً فكيف يمكن ان يرسل الله العليم الخبير القدير القدوس لاصلاح

خلقه من يعلم بانه سيتمرد على احكامه ويعصي أوامره ويخالف شريعته وارشاده اللهم الا ان نقول ان الله يأمر بالذنوب ولا ينهى عن المنكرات وأن الانبياء كلهم انما يقترفون ما يقترفونه من الذنوب — على زعم النصارى — تحت قانون الله وشرعته تعالى الله عن ان يأمر بذلك علواً كبيراً .

وما اجمل قوله تعالى في ذكره الحكيم « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون » وقوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون .

فالحكمة تقتضي لاصلاح الخلق وهدايتهم ان يرسل الله انبيائه معصومين مبرئين محفوظين من كل إثم وكبيرة لكى يتخذهم الناس اسوة لهم في الاجتناب عن المعاصي وفي الاتيان بصالحات الاعمال .

الفصل السادس

الأدلة النقلية

على عصمة الأنبياء الاطهار

ان الانبياء عليهم السلام كما ذكرت في الفصل الخامس لكونهم مظاهر صفات الله ونوابه في الأرض يعيشون معصومين ومنزهين عن الذنوب المعاصي ويكون وجودهم دليلا على كون الله الذي ارسلهم قدوساً حقاً وان لاخلود فى هذه الأرض لأية حركة وفكرة اجتماعية الاحركاتهم وتعاليمهم . وليس هذا الأمر بالأمر الظني او الحدسي وانما هوحقيقي واقعي وكلما انتشر الفساد فى

الأرض يرسل الله رسله لمحوه لأنه لا يبقى على الفساد شيء، وقد شاهدنا صحته بأم اعيننا اذ ارسل الله في زمننا عبده المسيح الموعود الذي كانت تنتظر مجيئه الأمم قاطبة وقد ظهر من الاسلام وحصل على مرتبة النبوة بفضل اتباع خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم الذي يمكن لفرد من امته أن ينال اقصى المراتب الروحانية باتباعه واطاعته الكاملة. و في اعتقادي أنه لو كان من الممكن للانسان ان ينال درجة أعلى من درجة النبوة لكان يمكنه ان ينال بواسطة اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لأن الكتاب الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم هو كتاب كامل يحتوي على كل التعاليم السامية والطرق التي توصل الانسان الى اعلى ما يمكنه الحصول عليه من المراتب الروحانية.

وقد تحدى حضرة المسيح الموعود عليه السلام جميع الناس بقوله ما تعريبه:

« وانكم لعمري لا يمكنكم ان تتهموني بكذب او افتراء او خداع في اوائل حياتي بينكم فتحسبون انه من كان هذا شأنه من عادة الكذب والافتراء لا يبعد ان يكون قد اختلق هذا الامر من عنده ألا فهل منكم من أحد ينتقد شيئاً من شؤن حياتي؟ وما ذلك الا فضل منه انه اقامني على التقوى منذ نعومة اظفاري أن في ذلك لآية للمتفكرين » (تذكرة الشهادتين).

وقد سعى خصومه سعياً حثيثاً ولم يألوا جهداً في تنقيب احواله ولكنهم لم يقدروا أن يثبتوا عليه خطيئة ما وكذلك كان المسيح عليه السلام فقد تحدى قومه وقال: (من منكم يبكتني على خطيئة) وقد أخطأ اخواننا المسيحيون اذا اتخذوا قوله هذا دليلا على الوهيته لان جميع الانبياء كانوا اعلنوا بهذا الامر وقد ذكرت لكم قول المسيح الموعود الذي هو خادم سيد الانبياء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم بانه تحدى الناس مثل عيسى عليه السلام بقوله: (ألا فهل منكم من أحد ينتقد شيئاً من شؤن حياتي) كذلك قال نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام كل الى قومه: (ألا تتقون اني لكم رسول امين) وكذلك نادى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بصوت جهوري وأعلن على مرأى

من اعدائه الالداء وخصومه الاشداء و مسمعهم بقوله : (فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) اي ها أنا قد أمضيت فيكم وبين ظهرانيكم حياتي كلها طفلاً ويافعا ومراهقا وبالغا وشابا وكهلا لا يخفى عليكم شيء من حالاتي وماعزبت عنكم اقوالي فهل بينكم من يقول بكذبي أو بظلمي أو هضمي لحق أو خداعي أو سعاتي للملك والامرة ؟ لقد اختبرتموني في كل ميدان وجربتموني في كل حال فشاهدتم ان قدمي لا تزيغ ابداً عن جادة الصواب ومحجة الاعتدال وألفيتموني منزها عن كل عيب حتى لقبتموني بالأمين والصادق .

وهكذا فكل الانبياء بعناية الله يعيشون معصومين من الجرائم والآثام قبل دعوى النبوة وبعدها لما يريد الله بهم من حفظ كرامتهم وتنزيه رسالتهم وهم يكونون أفضل قومهم مرؤة واحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا واحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال وهم يكونون فانين في محبة الله تعالى و يموت اهواؤهم النفسانية وجذباتها وهم لا يتكلمون ولا يعملون عملا الا حسب مشيئة الله وارادته والى هذا الامر تشير الآية القرآنية :—

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا آله الا أنا فاعبدون وقالوا اتخذ الرحمان ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » . ولا يخفى ان العمل في عرف الشرع يطلق على الفعل الذى يكون مقرونا بالنية كما يدل عليه الحديث : (انما الاعمال بالنيات) و قد اخطأ الذين قالوا ان الله اتخذ ولداً لأنه منزه عن الفناء والتغير والحدوث فلا يجوز أن يكون له ولد و بما ان النصارى اتخذوا عصمة المسيح كحجة على كونه ابن الله لذلك رد الله عليهم بقوله ان جميع الانبياء كانوا عباداً مكرمين عند الله تعالى معصومين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون واذا قالوا بانهم يمدون المسيح عليه السلام رجاء في شفاعته لهم قال انه لا يمكن لأحد ان يشفع لاحد الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . واذا قالوا بأنه ادعى

الالوهية بنفسه قال ان جزاء مدعي الالوهية ان يلقى في جهنم مذؤماً مدحوراً. فليفكر اخواننا المسيحيون الذين يعتقدون ان يسوعهم كان يدعى الالوهية هل يمكن ان يكون مسيحهم هذا معصوماً حسب عقيدتهم من حيث القرآن المجيد؟ كلا! لان الآية تقول : (و من يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين).

فهذه الآية تصرح بعصمة سائر الانبياء عليهم الصلاة و السلام.

الآية الثانية — والآية الثانية التي تدل على كون الانبياء معصومين من الجرائم والآثام والذنوب التي يعاقب عليها الانسان هي قوله تعالى : (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) .

فلو ارتكب الانبياء الذنوب التي يستحق مرتكبها العذاب حسب وعد الله تعالى : (من يعمل سوءاً يجز به) فلا يصدق قول الله تعالى : (اولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) الا بان نقول ان الانبياء كلهم معصومون من جميع الاعمال السيئة التي يعاقب عليها الانسان في الآخرة .

الآية الثالثة — يقول الله تعالى : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين (البقرة) والمراد من الظالم في هذه الآية الذي لا يطيع اوامر الله تعالى تمام الاطاعة كما أطاع ابراهيم عليه الصلاة والسلام . والمراد من العهد في هذه الآية اما عهد النبوة او عهد الامامة فان كان المراد عهد النبوة ثبت ان النبوة لا تعطى للظالمين وان كان المراد عهد الامامة وجب ان لا تثبت الامامة للظالمين واذا كان الظالم لا يمكنه ان ينال الامامة فبالاحري ان لا ينال النبوة أيضا لان كل نبي لابد وان يكون اماماً يؤتم به ويقتدي به . فهذه الآية دليل واضح على ان النبي يكون مطيعاً لله في جميع اوامره مخلصاً له ولا يكون

ظالماً أبداً .

الآية الرابعة — (وماكان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون — آل عمران) ان الله نزه في هذه الآية كل نبي من اي نوع من الخيانة و قال انه لايجوز ان يتهم الانسان نبياً من الانبياء باي نوع من الخيانة لانه لايمكن ان تصدر خيانة من نبي لان الخائن يأتي بما غل يوم القيامة ومعلوم ان الانبياء معصومون من العذاب وشأنهم انهم لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون .

الآية الخامسة — يقول تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنوا في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا . و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثما مبينا — احزاب)

انظروا كيف قرن الله ذكر رسول الله ﷺ مع اسمه ولم يقل كما قال عند ذكر المؤمنين المؤمنات بغير ما اكتسب لانه كان سبق في علم الله أنه ﷺ لا يصدر عنه إثم ما يجوز للناس ان ينسبوه اليه وقس عليه بقية الأنبياء عليهم السلام لأن جميع الانبياء جاؤا على منهاج واحد كما تشير اليه الآية (قل ما كنت بدعا من الرسل) و الآية (لا نفرق بين أحد من رسله) وكذلك توجد آيات اخرى تدل على عصمة الأنبياء عليهم السلام وفي الآيات التي ذكرناها كفاية وغنية للمتدبرين واولي الأبصار .

الفصل السابع

في

معنى الاستغفار

ولقد طعن كثير من الناس في عصمة الانبياء عليهم السلام لعدم فهمهم حقيقة الاستغفار وقالوا انهم لو كانوا معصومين لما استغفروا الله تعالى . وبما ان هذا الاعتراض ناجم عن جهلهم بمعنى الاستغفار فلذلك يجب علينا ان نبين حقيقة الاستغفار قبل ان نجيب على مطاعنهم التي وجهوها الى الأنبياء الكرام .

ان لفظ الاستغفار من باب الاستفعال من غفر واصل الغفر التغطية والستر يقال غفره يغفره غفراً ستره وكل شيء سترته فقد غفرته وتقول العرب (اصبغ ثوبك بالسواد فهو اغفر لوسخه) اي احمل له واغطي له والغفارة خرقة توقي بها المرأة خمارها من الدهن (تاج العروس) .

وفي المفردات للراغب الباس الشيء ما يصونه من الدنس فمعنى الاستغفار طلب الغفران اي الحفاظة والستر .

وكذلك قال العيسي :—

وان وراء الأثل غزلان أيكة

مضمخة آذانها والغفائر

ومعنى الغفائر ما غطين به رؤسهن .

وقال ذو الرمة :

سقىَ دارها مستمطر ذو غفارة .

الغفارة سحابة رقيقة تكون فوق أخرى كثيفة و قالوا هو الغفر (تاريخ ابن عساكر) .

ولما كان الانسان خلق ضعيفاً وما كانت عنده قوة لأن يقي بها نفسه من الدواعي السيئة ويقاوم الاهواء النفسانية ، وقد اودع الله فيه هذا الضعف لكي لا يستكبر ويدعى الاستغناء في ذاته بل يشعر دائماً بالاحتياج الى القوة التي أوجدته في هذا العالم ، لذلك كان ضروريا ان يطلب من الله الحفاظة والستر على نتائج هذه الفطرة الضعيفة المهلكة .

فالاستغفار يتضمن معنيين طلب الحفاظة والعصمة بمعنى أن لا يصدر منه الذنب أو الزلة والخطيئة التى كان يمكن صدورها حسب مقتضى ضعف الطبيعة البشرية . و الثاني طلب الحفاظة و الستر على النتائج السيئة للذنب الذي صدر منه .

ولا يخفى إننا من حيث مقتضى فطرتنا لا نتمنى بأن تغفر ذنوبنا الماضية فحسب بل نود من صميم افئدتنا أن لا تصدر عنا الذنوب مطلقاً وتوجد في القرآن المجيد آيات كثيرة تدل على ان الاستغفار ليس لطلب الحفظ فقط من عقاب الخطيئة التي يرتكبها الانسان بل يحق لنا ان نستغفر الله من دون ان يصدر عنا ذنب ما ولذلك قال تعالى في وصف المؤمنين :—

« الصابرين والصادقين و القانتين و المنفقين والمستغفرين بالاسحار » (آل عمران) . وكذلك قال في شأن اصحاب الجنة : « إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون » (ذاريات) فتعيين وقت السحر للاستغفار دليل واضح على انه لا توجد ملازمة بين الاستغفار والخطيئة بل المقصود من الاستغفار في وقت السحر الطلب من الله ان لا يصدر عنهم الذنوب .

(٢) وكذلك قال تعالى : (و الله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) (بقرة) وأيضاً قال في آية أخرى (و لهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم)

و بما انه لا يمكن لأحد ان يدخل الجنة آثما كما قال تعالى (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) فالمراد اذن من المغفرة في هاتين الآيتين بأن الله يستر على الضعف الموجود في قواهم ذلك الضعف الذي كان يمكن ان يكون مانعا من الرقي الروحاني فلا يصدر منهم اي ذنب في الجنة .

(٣) وقال تعالى في شأن المخطئين في غزوة أحد : (ان الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور رحيم) ثم قال : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) .

فالمراد من العفو بعد الاستغفار أن يطلب لهم من الله ان لا تصدر عنهم خطيئة مثل هذه مرة أخرى وكذلك هو معنى قوله تعالى : (واعف عنا واغفر لنا) اي احفظنا من ان يصدر عنا ذنب .

(٤) وقال تعالى : (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير — تحريم) .

وظاهر ان استغفارهم لا يكون في نتيجة الذنوب الصادرة منهم لأن الجنة لا يوجد فيها لغو ولا تأثيم فالمراد من استغفارهم طلبهم الزيادة من نور الله وان يغطي النور الموجود عندهم باعظم منه فهم لا يفتأون يدعون الله ويطلبون المزيد لأن نور الله غير محدود فهم يطلبون المزيد من الله على الدوام .

فالاستغفار في الحقيقة هو دعاء للرقي فى الدرجات الروحانية التي لا نهاية لها . وبما ان الأنبياء يرون تجليات الله ويشاهدون انواره تعالى فى هذا العالم فلذلك هم يستغفرون دائما ويطلبون من الله ان يزيدهم فى المقامات

الروحانية وان يستر حالتهم الموجودة بحالة لم يشاهدوها بعد تكون أرقى وأكمل وأجل وأعظم ويدعونه تعالى ان يستر ضعفهم ويزيدهم قوة للرقي الروحاني الذي لانهاية له فهم يشعرون في الاستغفار السرور الحقيقي دائما وأبداً لأنهم يتقربون بواسطته الى محبوبهم ويرون الاستغفار وسيلة للوصول الى المدارج الروحانية العليا اللانهائية. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اني استغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة) مع ان الله قال في حقه: (قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين).

فالانسان العارف بالله المشاهد انواره تعالى وتجلياته يكثر من الاستغفار وأما الذي بينه و بين الله حجاب وهو غريق في لجج بحر الاهواء النفسانية وملوث بانواع الذنوب والآثام كيف يمكنه ان يلتفت الى مثل هذا الدعاء وهو لا توجد له علاقة بالنور لأن نور فطرته منطفئ.

(٥) وكذلك أمر الله رسوله بالاستغفار في سورة النصر بقوله (واستغفره انه كان توابا) مع ان الله تعالى كان أخبر في سورة الفتح التي نزلت قبل سورة النصر بزمن غير قصير عن غفران ذنوبه كلها حسب تفسير الخصوم وذلك فى قوله تعالى: (انا فتحنا لك فتحا مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فلا يجوز أن يكون الأمر بالاستغفار في سورة النصر لأجل الذنوب الصادرة.

(٦) وقال تعالى (الذين صبروا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) فالذين امتنعوا عن ارتكاب السيئآت وصبروا على الاعمال الصالحة ما معنى المغفرة لهم وهم ما أتوا بذنب.

(٧) وكذلك ذكر الله صفته أنه غفور فى حق من لا يوجد له ذنب كما قال (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهلّ به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) وقال (فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم).

وموجز القول ان حصر معنى الاستغفار في طلب الغفران للذنوب الصادرة ظلم عظيم وجهل فادح مبين .

يقول الامام الرازي ما نصه :—

« المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السئي ووجه ان الاستغفار طلب الغفران والغفران هو الستر على القبيح ومن عصمه فقد ستر عليه القبائح ومعني طلب الغفران ان لا تفضحنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي ﷺ وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود »
﴿ التفسير الكبير ﴾

—.—.—.—.—

الفصل الثامن

معنى الذنب

ويعلم كل من درس القرآن المجيد درساً دقيقاً أنه يوجد بين الذنب والجرم والاثم والفسق فرق لطيف وأن الله لم يقل في آية ما ان الذنب المطلق يلقى في جهنم كما قال ذلك عن الأثيم والمجرم وغيرهما كما فى آية : (انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم) وفى آية : (اما الذين فسقوا فمأواهم النار) وفى آية : (ان شجرة الزقوم طعام الأثيم) فلو كان لفظ الذنب مرادفا لهذه الالفاظ لأردفه الله كذلك بعقاب جهنم . فلفظ الذنب فى القرآن المجيد ورد بمعنى عام ولما استعمله الله بمعنى الجرم اشار اليه كما قال : (ولا يسئل عن ذنبهم المجرمون) .

وثانياً قد استعمل لفظ الجرم والاثم والفسق والجناح مع مشتقاتها فى القرآن المجيد مائتى مرة تقريباً ولفظ الذنب استعمل زهاء أربعين مرة ولكن

مع وجود استعمال الجرم والاثم بهذه الكثرة فان الله لم يستعمل قط فى حق الانبياء سوى لفظ الذنب وهذه قرينة قوية بأن لفظ الذنب فى حق الأنبياء لم يستعمل بمعنى الجرم او الاثم الذي يعاقب عليه الانسان فى الآخرة .

كذلك بين الخطيئة والاثم فرق وهو ان الخطيئة هى ما لا ينبغي فعله سواء كان بالعمد او بالخطأ والاثم ما يحصل بسبب العمد والدليل عليه (ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه) فبيَّن ان الاثم ما يكون سبباً لاستحقاق العقوبة .

وذكر صاحب محيط المحيط عن الكليات لأبي البقاء الفرق بين الذنب والاثم وقال :—

« وبين الذنب والاثم فرق من حيث ان الذنب مطلق الجرم عمداً كان اوسهواً بخلاف الاثم فانه ما يستحق فاعله العقاب فيختص بما يكون عمداً »

تعريف الذنب الذي يعاقب عليه الانسان

لا يكون الانسان مجرماً او آثماً او مذنباً الا اذا استحق العقاب بنقض امر من اوامر الله . ولا يستحق العقاب الا اذا كان ذلك الأمر موجوداً قبل نقضه وثانيا ضروري ان يكون ذلك الأمر قد بلغه قبل ارتكابه . وثالثا يجوّز العقل السليم ان مرتكب ذلك الاثم استحق العقاب باقترافه واذا فقد احد هذه الشروط فى مرتكب الاثم لا يكون آثما ولا مجرما ولا يعاقب عند الله تعالى . وقد اثبتنا فى الفصل السادس من القرآن المجيد ان الأنبياء معصومون من كل عقاب كما قال الله تعالى : (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) م

جلال الدين شمس أحمدي

(**البشرى**) نشرنا هذا القسم القيم من عصمة الأنبياء لاستاذنا الكبير السيد جلال الدين والذي كان ألقى محاضرة فيه قبل تنقيحه فى مصر بدار جمعية مكارم الاخلاق ونحن ننتظر ان يوافينا الاستاذ الكريم ببقية البحث مما القاه فى محاضرته ومما لم يلقه لننشره لحضرات القراء الكرام وعسى ان يفعل ذلك قريبا ان شاء الله .

* * *

(من نظم المسيح الموعود عليه السلام)

وكنت أرى الاسلام مثل حديقة * مبعَّدة من عين ماء ينضر
فمازلت اسقيها واسقي بلادها * من المزن حتى عاد حبر مدعثر
وجاشت الي النفس من فتنة العدا * فانزل ربي حربة لا تكسَّر

. . . . . .

وقد كان باب الله مركز حربهم * كلام مضل لا حسام مشهَّر
فوافيت مجمع لدّهم وقتلتهم * بضربٍ ولم اكسل ولم اتحسَّر
وإني أنا الموعود والقائم الذي * به تملأنَّ الأرض عدلاً وتثمر
بنفسي تجلَّت طلعة الله للورى * فيا طالبي رشد على بابي احضروا
خذوا حظكم مني فاني إمامكم * أذكركم أياً مكم وأبشر
وقد جئتكم يا قوم عند ضرورة * فهل من رشيد عاقل يتدبر

. . . . . .

وقد جاء قول الله بالرسل توأما * ومن دونهم فهم الهدى متعسر

ادعياء الاسلام اليوم ككفار قريش من قبـــل

يرمون محمداً صلى الله عليه وسلم بالجنون

« ن و القلم و ما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجراً غير ممنون و إنك لعلى خلق عظيم » (قرآن مجيد)

لم يأت أحد بمثل ما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من رسالة السماء ودعوة السماء ووحي السماء الا وأتهم فى جملة ما أتهم به بالجنون .

هذه كانت شنشنة قريش كما كانت عادة من قبلهم لم يشذ عن هذه العادة قبيل ولم يستثن فريق وكأنّ الأمم باجمعها كانت توحي بذلك بعضها الى بعض فينكرون صوت السماء ونداء الحق حينما كان يصدع به رجل منهم ويرمون صاحبه بالمس والجنون. ولقد اشار القرآن المجيد الى ذلك بقوله تعالى : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون) .

واذا كان ليس بغريب ولا عجيب ان يقوم الجهال والخصوم فى كل زمان فينعتون صاحب الدعوة الجديدة بالجنون وهم يجهلون حقيقته ولا يدركون صدق أنبائه وماينذرهم به من هلاك وفناء اذا عصوه وما يبشرهم به من غلبة ونصر وفتح ومجد اذا اتبعوه ونصروه وآزروه وآمنوا به ، نعم اذا كان ذلك ليس بغريب ولا عجيب فان العجب كل العجب والغرابة كل الغرابة ان يقوم اليوم وفى هذا العصر فريق من أبناء يعرب وعدنان (وحاشاالله ان يكونوا حقا من

ابنائهما) ومن أدعياء الاسلام في سجلات الحكومة وتذاكر النفوس ويرمون محمداً صلى الله عليه وسلم بالجنون .

هؤلاء الذين تسممت ارواحهم بعلوم الغرب وآداب الغرب وفلسفة الغرب وامتلئت نفوسهم بالشكوك والريب والظنون والشبهات مما يذيعه ويشيعه علماء اوروبا من الطعون ويبذرونه من المفتريات في حق سيد العالم جميعاً محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ويعودون للقول بما قال عبدة الأوثان قديماً والمشركون من قريش ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان به ضرب من الجنون .

ومن هو محمد صلى الله عليه وسلم كما يعرفه العالم كله ؟ هو محمد الذي صبر بمفرده على قومه كلهم سنيناً طويلة حتى تغلب عليهم . هو محمد الذي انزل الله عليه كتابا يتحدى العالم كله في كل عصر لأن يأتوا بمثله ، و يتحدى اهل العقول والعلوم والمعارف على ممر الازمان والدهور لأن ينقضوا حقيقة من حقائقه ان استطاعوا الى ذلك سبيلا . ويعلن لهم بكل شدة وحزم قائلا :

« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » . هو محمد الذي فتح الله العالم على يديه وأيدى اتباعه و بنى لأمته مجداً لم يعرفوا له مثيلا من قبل وسوف لا يذوقون طعما لمثله من بعد مهما غنوا باغنيات المجد ورتلوا بتراتيل العزّ والسؤدد والفخار ، اللهم الا بالرجوع لتعاليمه .

هو محمد الذي بعثه الله في أمة لم تذق طعم العلم قبل مجيئه و كانت غارقة في الأمية والجهل آلافاً من السنين لم ترتشف من ثدي المعرفة و لم ترتضع بلبان الحضارة والعلوم فخلقها خلقا جديداً وأنشأها من العدم وجعلها سيدة العالم باسره قرونا طويلة لاسلطان فوق سلطانها ولا قوة فوق قوتها الا لله الواحد القهار .

هو محمد سيد الأنبياء والمصلحين وسيد القواد والفاتحين وسيد العظماء والمفكرين وسيد السادات من عدنان وقحطان و بني آدم أجمعين .

هو محمد المقرون وحده اسمه باسم الله في الشهادتين وكفى .

هذا هو محمد الذي يقول اليوم فريق من ادعياء العروبة والاسلام إنه مجنون كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا .

ان المسلمين باهمالهم القرآن المجيد ونبذهم اياه وراء ظهورهم واقبالهم على زخرف الغرب كانت النتيجة ان ظهر امثال هؤلاء الذين يظنون انفسهم أنهم متعلمون مثقفون والذين أصبحوا عالة على اهل الغرب يتهافتون على ما يتساقط من موائدهم القذرة فيتخذونه طعاما لأنفسهم يسممونها به وأعني بذلك موائد المستشرقين والملاحدة الذين يكيدون للاسلام والمسلمين كل كيد منذ أمد بعيد وأجيال طوال حتى أثمرت جهودهم في جسم العالم الاسلامي واتبعهم أناس ضعيفو الأرادة ، ضعيفو العزيمة ، فاقدو الأنفة والكبرياء والأيمان .

أردت مرة ان أرى صاحبا لي فقيل لي عنه أنه موجود في احد مقاهي دمشق فلما دخلت المقهى وجدته مع لفيف من الصحاب وبينهم أيضاً رجال لهم مكانتهم في قومهم وبعضهم معروفون لدى الملأ بتحمسهم العظيم للقومية العربية والعمل في سبيلها . ولما جلست بينهم دار الحديث عن الحركة الدينية وانقلب الحديث الى جدل رأوا على اثره ان ينتخبوا حكما منهم ليدخل معي في الحوار والبحث عن الدين وحقيقة الاسلام ولم اكد ادخل في البحث مع حكمهم ومنتخبهم عن صدق الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم حتى قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حقيقة صادقا ولكن صدقه كان حسب شعوره الذي يشعر به ولم يكن في الأمر الواقع رسولا من الله وإنما هي نوبة جنون كانت تعتريه لاغير . وكان المستمعون يستمعون اليه ويصغون الى خزعبلاته وهم لا يبالون بعظم ما يقول وخطر ما يهرف به . وهم اذا كانوا لا يبالون بالدين وتعاليم الاسلام ومعارفه ولكن هل نسوا او تناسوا ان القومية العربية نفسها لم يكن له من كرامة وان العرب كلهم لم يكن لهم مجد وسؤدد في جميع ادوار التاريخ الا بمحمد صلى الله عليه وسلم سيد العرب والعجم وسيد الناس أجمعين ؟

واذا كان مؤسس اعظم حركة في الوجود مجنوناً فما هو العقل ومن

هو العاقل عند هؤلاء الملاحدة والمخرفين ؟

ولكن الله الذي شاء منذ الأزل ان يجعل أسم محمد ﷺ اعظم الاسماء كلها بعد اسمه في صفحات الخلود وسجلات الأبدية والبقاء أرسل عبده المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر الممتلئ بالشكوك والشبهات والزيغ والضلال ليدافع وينافح عن كرامة الرسول الأكرم ﷺ في جميع بقاع الأرض ويثبت بالادلة القاطعة والحجج الدامغة الغالبة صدق الاسلام وصدق الرسالة المحمدية من جميع الوجوه .

واذا كان الشيطان يبذر بذوره في ارجاء العالم فان اتباع المسيح الموعود عليه السلام سوف يقضون على كل دعاية باطلة ويحاربون كل من ناوأ الاسلام بهمة لاتعرف الملل ولاالفتور حتى يتم ظهور الاسلام وغلبته على الدين كله ولو كره اعداؤه اجمعون .

ولاشك ان الطعون والافتراءات على الاسلام ونبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه مهما كانت شديدة وقاسية فان الاسلام نفسه لا يجيز مقاومتها ومقابلتها — طالما هي مجرد طعون علمية على زعمهم — الا بالحجة الغالبة والبراهين القاطعة القاهرة ما لم يكن التهجم على الاسلام بقوة السيف وعندها يكون الحكم للسيف وفي كلا الحالين وعد الله الاسلام النصر ومن ينصره الله فلا غالب له والله ينصر من ينصره في كل حين .

وإني لهذا افنّد آراء الطاعنين بسيد الوجود ﷺ مستمداً فيصلة القول والحجة البالغة من كتاب الله الفرقان الحميد ليتبين الرشد من الغي والهدى من الضلال .

ان الذين يتهمون محمداً ﷺ بالجنون اليوم انما هم يقتبسون ذلك من بعض مخرفي اوروبا في الوقت الذي زالت به عظمة الاسلام الظاهرية وهكذا كان المشركون من قريش يتهمون النبي ﷺ بذلك حينما كان وحيداً وقليل الاتباع وليس له شوكة ظاهرية ولهذا نرى جميع الآيات التي

ورد بها اتهام محمد ﷺ بالجنون من قبل اعدائه المشركين هي آيات مكية فكان المشركون لاغترارهم بقوتهم وشوكتهم يحتقرون النبي ﷺ ويحسبون ما يدعو اليه امراً جنونيا لا يمكنهم تصوره فكان عليه الصلاة والسلام يثبت لهم حقيقة صدقه بالآيات الباهرات والمعجزات الحسية والمعنوية ولكنهم ماكانوا يزدادون الا عناداً لأن حياتهم المادية كانت تحول بينهم وبين تفهم ما أتاهم به من الحكم الدقيقة والبينات الرائعة خصوصاً وأنه ﷺ كان فقيراً ولم يكن فى نظرهم من العظماء الأمر الذي نوه به القرآن الكريم بقوله عنهم : (وقالوا لولا انزل هـذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وأجابهم بقوله المتناهي بالحكمه : (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) ومعنى ذلك ان الثروة الروحية التي تنبنى عليها كل نهضة ثابتة خالدة هى خير من الثروة المادية التي يفتخرون بها وكلا الثروتين هما من تقسيم الله وعطائه .

وإنه مما لا شك فيه ان شباننا الذين يغترفون اليوم من موائد الغرب قد بهرتهم المدنية الأوروبية المادية وتقدمها الآلي فصاروا لا ينظرون الا الى العظمة المادية كما كان ينظر اولئك الجاهليون فى عصر الرسول الاكرم ﷺ ولهذا نرى الجميع اليوم كما كان اولئك من قبل يتهافتون على الشهوات و يبالغون فى اتباع الاهواء والسير مع الميول والجري مع التيار المهلك المبيد و لذلك صار من الصعب عليهم أن يفهموا عظمة القرآن المجيد ومافيه من اسرار ومن دعامات ثابتة لبناء المدنية الحقة الصحيحة ، وما يحويه من طرق لانقاذ بني الانسان من التهلكة ، والعروج بهم فى معارج الرقي والتقدم والنجاح ، وتشييد صرح السلام الذي تنشده الأمم قاطبة وتتطلبه جميع الشعوب .

ولقد بيّن القرآن المجيد بان محمداً ﷺ الذي يرمونه بالجنون سيتغلب على اعدائه وان هلاك مناوئيه واقع لا محالة مع أنه كان وحيداً فريداً

و ليس من المعقول — عند ذوي العقول كلها ضعيفها وقويها — ان يتغلب مجنون واحد على جميع الناس وان يسيطر رجل واحد بجنونه على ذوي التدبير والفكر والعقل .

ان جميع الأمم بلا استثناء كانت تكذب انبياءها عند مجيئهم وتصمهم بوصمة الجنون وكان جميع الانبياء يستدلون فيما يستدلون به على صدقهم وكذب قومهم بالغلبة والنصر وبأن العزة ستكون لهم وأن الخزي سيحيق بالكافرين يقول تعالى : (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) وقال : (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وماجعلناهم بشراً لايأكلون الطعام وماكانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين) وقال (ولماجاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) .

وهذه هي اشهر الآيات التي تنفي عنه الجنون ﷺ وتنذر قومه بالعذاب والهلاك وهي كلها مكية . ولا شك ان المجنون هو من يسعى لحتفه بظلفه ولا يدري جلب النفع لنفسه ويوردها موارد البوار وإنه ما من نبي جاء نذيراً لقومه الا وتحقق انذاره فى حق من لم يؤمنوا به وهلك مكذبوه وكانوا من الخاسرين .

(١) قال تعالى : (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملي لهم ان كيدي متين او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين . اعراف) .

(٢) وقال : (وكذب الذين من قبلهم ومابلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد . سبأ) .

فليقل لنا هؤلاء الطاعنون جميعاً او اشتاتاً ما هو نوع الجنة التي

ينسبونها الى سيد الوجود ﷺ وهل لها من مثال واحد في عالم الطب وهل مثل هذا الجنون أصيب به احد او عرفت خواصه وصفاته وميزاته ودوّنه علماء الطب وأهل الخبرة والعلوم ؟

(٣) وقال : (والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم .... وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . افترى على الله كذباً ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد . سبأ) .

(٤) وقال : (حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون ... ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون .... ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون . المؤمنون) .

(٥) وقال : (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انىّ لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون . الدخان) .

(٦) وقال : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون .... فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون . الذاريات) .

(٧) وقال : (ن . والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وان لك لأجراً غير ممنون . وانك لعلى خلق عظيم . فستبصر ويبصرون . بأيكم المفتون .... فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين . القلم)

وإن في هذه الآيات الأخيرة أدلة قاطعة على انه ﷺ هو الرجل الوحيد الكامل والمثل الأعلى للرجولية الكاملة والعقل الانساني الراجح

الصحيح .

— اولاً — يقسم تعالى بالنون والقلم اي بالدواة والقلم اومعنى النون هو نبي ويستشهد على نبوته بالدليل العلمي ووسيلته هو القلم وما يسطرون بالقلم و بما ان الجنون هو عارض يتعلق فهمه والتثبت من كنهه وحقيقته بالعلم الصحيح لذلك تحدى الله سبحانه أهل العلم بكل ما يمكنهم أن يعرفوه ويسطروه ويدونوه من الامراض الجنونية المختلفة وعلاماتها وأعراضها التى يكتشفها الأطباء و أهل العلم المتخصصين الخبيرين . و قد عمم الله هـذا التحدى الى يوم القيامـة وذلك بقوله : (وما يسطرون) بصيغة المضارع الدالة على جميع الازمنة الحاضرة والآتيـة .

ثم ان في هـذه الآيـة دليـلاً آخر على كمال عقـل محمد ﷺ وهو ان الناس سيكتبون ويسطرون عنه على جميع الأزمان ومعنى ذلك أنه من السمو العقلي والعظمة الفكرية بدرجة أنه يشغل العالم على الدوام و يكون حديث الناس في كل حين ومن المعلوم أن المجنون لا يمكن أن يكون موضع اهتمام الناس في جميع الأحايين وعلى ممر الأزمان .

— ثانياً — « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » فالنبوة نعمة والجنون نقمة ومصيبة وبقدر مايكون الانسان فاقداً من نعمة العقل بقدر مايكون فاقداً للتربية ومحروماً من ثمراتها ولكن محمداً ﷺ ربـّه اي مربيه هو الله والله لا يختار للتربيـة الكاملة الا ذا العقل الكامل و لهـذا حاز محمد ﷺ على النعم كلها دينية ودنيوية وصار حاكما مطاعا وسيداً محبوباً مهاباً ونجح بدعوته نجاحا لم يحرز مثله بل عشر معشاره احدقط وان هذه النعمة التي نالها والتوفيق الذي احرزه لا يمكن لمجنون بل لاي عاقل مهما سما بعقله وفكره ان ينال مثله ولا ان يحلم باقل منه .

— ثالثا — « وان لك لأجراً غير ممنون » ان العاقل هو الذى يحكم اموره إحكاماً يكون قويا لا انقطاع له ومكينا لا يعقبه وهن وانصداع وبقدر

ما يكون كذلك بقدر ما يدل على قوة عقله وسمو فكره وتدبيره .

وان محمداً ﷺ هو من السمو العقلي والكمال الفكري بدرجة ان ما جاء به من الشرع له ثمرات لا تنقطع مطلقاً في اي حين من الأحيان وان الشجرة التي غرسها لاتباعه تعطي اكلها كل حين باذن ربها . ولا شك ان المجنون لايتأتى له باي حال من الاحوال ان يحكم اموره وينال ثمرات تفكيره بصورة دائمة مستمرة .

— رابعاً — « وانك لعلى خلق عظم » ان العاقل هو من يكون حاضر الذهن مستعملاً لعقله في مختلف الظروف والاحوال و بقدر ما يكون الانسان عصبي المزاج وفيه نقص في تكوينه الفكري بقدر ماينحرف عن الصواب عند الوثرات كشدة البغضاء والغيظ والغضب او شدة الحب والفرح والسرور واما العاقل كل العاقل فهو من يحتفظ بقواه العقلية في جميع الاحوال و يكون مثالاً كاملاً للعدالة ولوضع الشيء في محله تجاه اعدائه ومبغضيه وتجاه انصاره ومحبيه على السواء وان محمداً ﷺ هو المثل الاعلى للخلق الكامل وهذا لايمكن ان يكون مطلقاً من صفات المجانين بله غير المجانين بدرجة الكمال من جميع بني الانسان ماعدا محمداً ﷺ .

— خامساً — « فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون » هنا نبأ يدل على ان الفوز سيكون بجانب المحق العاقل و الاندحار بجانب المبطل المجنون وستكون الفيصلة المحسوسة تحت سمع الفريقين وبصرهم وقد كان كل ذلك ودخل المشركون في دين الله افواجا بعد ان رأوا وشاهدوا صدق جميع ما تنبأ عنه رسول الله ﷺ في حقهم وتغلبه عليهم . ولاشك ان المجنون لا يمكنه ان تصدق اخباره كلها بينما العقلاء انفسهم لا يدرون ما يأتيهم به الغد.

وان الله سبحانه كان يعلم ان الاسلام ستضعف كلمته مرة ثانية وان المسلمين ستتفرق كلمتهم بسبب اهمالهم كتابه الكريم وتهاونهم بالدين و إعلاء كلمة الاسلام ولهذا انبأنا الله في ذكره الحكيم بأنه سيرسل شاهداً يؤدّى الشهادة

على صدق الاسلام وصدق النبي ﷺ ومن عادة الشاهد أنه لا يجيء الا عند اللزوم لأداء الشهادة اى حينما يشتهر التكذيب و ينتشر الالحاد وتصبح حقائق الدين مشكوكاً فيها وغير جلية ولا واضحة . يقول تعالى : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماماً ورحمة) اي ان النبي ﷺ تشهد على صدقه جميع الأزمنة الحاضرة والماضية والآتية اذ هو بنفسه في زمنه كان شاهداً ومبشراً ونذيراً وكان على بينة من ربه . وفي الأزمنة الماضية كان موسى عليه السلام مبشراً ومخبراً بمجيئه ﷺ وليس موسى عليه السلام وحده كان يشهد بذلك بل جميع الأنبياء الذين أتوا بعده ولهذا لم يقل الله ومن قبله موسى بل قال « كتاب موسى » لأن جميع انبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام كانوا خداماً للتوراة كما قال تعالى : (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) و المسيح نفسه عليه السلام ليس انجيله الا بشارة بمقدم سيد الخلق محمد ﷺ .

وان في قوله تعالى : (ويتلوه شاهد منه) دليلا واضحا ونبأً جلياً بمجيء شاهد من الله يشهد بصدقه ﷺ عند اللزوم لأداء الشهادة .

والمسلمون كلهم اتفقوا على مجيء المسيح الموعود عليه السلام حين ظهور الغلبة المسيحية وتفوق اهل الصليب في الأرض وأن المسيح الموعود عليه السلام يأتي لابطال النصرانية في العالم وكسر الصليب ويكون خادماً للقرآن ولشريعة خير الأنام ويعطى بذلك الدلالة القاطعة ان لا حياة للعالم كله الا بالقرآن المجيد وحده لا غير . فالمسيح الموعود اذن هو الشاهد بلا شك ولا ريب .

وانني اعتقد اعتقاداً جازماً أن اولئك الزعماء الذين يبغون العزة لامتهم العربية لايزالون في الضلال البعيد كلما ظلوا مبتعدين عن القرآن المجيد الذي به وحده سيحيون مرة ثانية كما نالوا به الحياة من قبل . وانني لعلى حق اليقين أنهم بالرجوع الى القرآن يمكنهم تارة أخرى أن يبرهنوا للعالم كله ان

محمداً صلى الله عليه وسلم هو رمز السلام العالمي وان القرآن وحده هو منهل الحياة ومورد السعادة الأبدية .

وإنني لا ادري ولا غيري يدري ولا زعماء العربية انفسهم يدرون كيف يفكرون بالوحدة العربية من دون أن يهتموا بالقرآن الذي ضمن للغتهم الحياة وهو وحده سيبقيها حية ما دامت الشمس تطلع وتغيب و ما فتئت الأرض تجري في الفضاء اللانهائي و تدور .

واذا كان العرب لا يهتمون بمنقذهم الاعظم وسيدهم الاوحد وفخر البشرية ومخرجها من الظلمات الى النورفان الله سبحانه هو الكفيل باحياء ذكره مرة أخرى واظهار اسمه وعزته فوق كل اسم وعزة تارة ثانية . وقد أرسل لهذه الغاية عبده المسيح الموعود به عليه الصلاة والسلام وإنما لم يرسله من العرب ولا من بني اسرائيل أيضا، كما يزعم المشائخ بان عيسى نفسه سيعود، وانما أرسله من فارس مصداقا لنبأ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد فى صحيح البخاري فى تفسير قوله تعالى : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) فقد بيّن ان مجيئه يكون فى الآخرين عند اللزوم و حين ارتفاع الايمان من الارض وان رجلا من فارس يناله ويعيده ولو كان فى الثريا .

اللهم صل على محمد و على آل محمد و على عبدك المسيح الموعود و سلم سلاما كثيراً اللهم آمين

المحامي

دمشق منير الحصني



عظيم العظماء

فى كل بلد من البلدان المتمدنة ، وفى كل قطر من الاقطار المتحضرة ترى نُصبا أو تمثالا من الرجال يمثل عظمة خاصة به. فهذا لرجل برز على معاصريه واعتلى قمة الشهرة فى عالم السياسة ، فلقب بالمحرر لأمته ، وهذا لرجل عظيم الشان فى عالم الأدب والثقافة فأصبح فى علمه منهلا يرتوي منه الظمآن وعلما خفاقا يشار اليه بالبنان . وذاك لرجل قائد مهاب الجانب تخطي الرقاب ، وخضعت لصولته وهيبته الملوك والاقيال .

فكل هؤلاء عظماء ، ولكل واحد منهم محيط خاص به من حيث العظمة . ولكن هناك أيضا عظماء نقشت ذكرياتهم على صفحات القلوب ، واضحت متمثلة بين تضاعيف النفوس ، وهؤلاء هم الانبياء والمصلحون الذين يرسلهم الله لقيادة أرواح البشر الى عالم الملكوت ، وللسمو بهم من دركات المادية الى درجات الروحانية . فقد قال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) .

فمن العظماء الروحانيين الذين كان الواحد منهم أمة باسرها سيدنا ابراهيم عليه السلام فقد قال الله في حقه (ان ابراهيم كان امةً قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين) . وقد ظلت ملته تتناقلها الابناء عن الآباء ويعمل بها الرسل والانبياء .

وكذلك موسى عليه السلام فقد كان عظيما أرسله الله لبني اسرائيل فأقامهم من وهدة الذلة والمسكنة ، وسما بهم الى أوج الرفعة والمكانة العالية .

ثم جاء المسيح ابن مريم عليه السلام بانجيله ونادى بني اسرائيل الى الصراط المستقيم بعد ان ضلوا و قد وعده الله سبحانه وتعالى بالعزة والجاه اذ قال في حقه (وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) وقد اخبره الله بان الذين سيتبعونه يكون لهم الغلبة والنصر على من يخالفونه حيث قال عزوجل (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) . وها نحن نرى باعيننا ان المسيحيين رغم انهم حادوا عن تعاليمه الحقيقية واتبعوا سبيل اهوائهم ولكنهم ظاهرون على اليهود . ولم نر منذ جاء المسيح الى هذه الساعة ان اليهود قامت لهم قائمة بعد ذلك .

وهكذا ظلت عظمة المسيح خالدة مع عظمة الانبياء السابقين الى ان بزغت في افق العظماء شمس العظمة الخالدة لمحمد ﷺ فكسفت جميع اضواء العظماء وظلت الى هذه الساعة وستظل الى ان تقوم الساعة تلقي بضيائها وحرارتها على الكون فتغذي النفوس وتمدها بالحياة الخالدة .

* * * * *

جميع الاشياء المادية تتفاوت درجاتها من حيث قيمتها في الحياة و ما تؤديه للناس من النفع . كذلك العظماء تتفاوت درجاتهم من حيث المنفعة العامة لأممهم وشعوبهم وان العظيم الحقيقي هو الذي يتحمل في سبيل تحقيق امنيته اعظم المشقات والآلام وان التاريخ اكبر سجل قد سجلت فيه جميع الآلام التي تحملها العظماء في سبيل اصلاح شعوبهم و أممهم ولكن هناك رجلا واحداً تحمل اعظم الآلام في سبيل هدفه ونشر كلمة التوحيد التي قام باعبائها ثلاثة عشرة سنة في مكة لاقى في خلالها من الأهوال ما تندك منه الجبال الراسيات حتى هاجر منها الى المدينة وفيها كانت حياته جهاداً في جهاد مستمر لم يعرف طعما للراحة الا حيث ترتفع كلمة التوحيد و يظهر صدق دين الله بين العباد .

فجميع المواقع التي شهدها كان اعظم مثال للشجاعة الغير متناهية الحدود انظروا اليه ﷺ في واقعة حنين عند ما اشتدت اهوال الحرب اذ به يتقدم غير هياب ولا وجل ويصرخ باعلى صوته قائلاً :

انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب

وانظروا اليه ﷺ في غزوة أحد حينما ظن المشركون انه قتل وذكروا اسم اللات والعزى! هنالك دوى صوته كالرعد القاصف : (الله اعلى وأجل . الله مولانا ولا مولى لكم) .

اجل . كانت افعال النبي محمد ﷺ المثل الأعلى للعظمة الخالدة . كنتم ترون قبل ظهوره امة متفرقة يحكمها الفرس والرومان وكانت تتناوب عليها المحن والحدثان وكنتم ترون امة لا تعيش الا في جو قاتم مظلم ، غارات تشن ، وشفاراً تسن ، وارضا تخضب بالدماء بين آونة واخرى فلم يمض نصف قرن على انبلاج ضوء عظمته حتى تبدلت الحال غير الحال . فتكونت للعرب اعظم امبرطورية عرفها التاريخ حيث دكت عرش كسرى وزلزلت ملك قيصر وطوحت بتيجان الملوك الى الحضيض وعنت وجوه الأغيار لعظمتهم التي اكتسبوها من محمد ﷺ فهذا هو العظيم الكامل الذي سما وسما حتى قاب قوسين أو أدنى ونفخ روح الحياة فى قلوب كانت ميتة فاحياها وبعث فيها همة تنازع الجوزاء فى علميائها .

هذا هو الرجل العظيم الذي طهر القلوب من ادران الشرك ونقاها بمياه الايمان العذبة . وافرغ فى الافئدة نور التوحيد الخالص فكانت امته خير امة أخرجت للناس واصبح العلماء فى امته بمرتبة الانبياء فى الامم السابقين فكيف بالمجددين المبعوثين من الله لاظهار دينه فى ملته السمحاء !

ان ديانة الاسلام بلا مراء هى اعظم الديانات جميعاً من حيث الرقي المادي والروحي وكذلك نبي الاسلام هو عظيم العظماء وسيد الانبياء صلى الله عليه وعليهم اجمعين .

وقد قال مؤسس الجماعة الاحمدية حضرة المسيح الموعود عليه السلام في حق ذلك النبي العظيم صلى الله عليه وسلم .

« الا لا كتاب لبني نوع الانسان الا القرآن ولا رسول ولا شفيع لبني آدم من بعد اليوم الا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم لذلك فاجتهدوا ان تصلوا هذا النبي — نبي الجاهة والجلال — باصرة الحب الخالص وان لا تفضلوا عليه سواه تفضيلاما لكي تسجلوا في السماوات مع الناجين ..... من الناجي ؟ هو ذاك الذي يوقن بان الله حق وان محمداً صلى الله عليه وسلم شفيع ووسيط بين الله وبين الخلق ... وانه لم يشأ الله لاحد ان يحيا خالداً الا ان هذا النبي المصطفى حي الى ابد الآبدين ، وقد مهد سبحانه لاستحيائه دائماً ابداً بان جعل افاضته التشريعية والروحانية جارية الى يوم القيامة وانه من فضل فيضانه الروحاني ارسل الى العالم اخيراً المسيح الموعود هذا الذي كان مجيئه لا بد منه لتكميل بنيان الاسلام » .

فطوبى لمن آمن بعظيم العظماء وسار على سنته وملته السمحاء .

وطوبى لمن آمن بظله وتابعه الاعظم عظيم المجددين وخاتم الاولياء حضرة المسيح الموعود عليه وعلى متبوعه افضل الصلاة وازكى السلام ؟

محمد سعيد بخت ولي

المدرس بالمدسة الاحمدية بالكبابير

« من أحسن القصص »

** أويس القرني **

رجل زاهد ولا كالرجال نهى نفسه عن الاهواء ووقع في أقصى درجات الحب لله فانقطع اليه وشغله حبه عمن سواه . ونحكي عنه مكاشفات

لا يمكن تأويلها الا بأن الله يتجلى على محبيه ويكشف لهم بعض الاسرار ويوحي اليهم ببعض الانباء والمغيبات كما وقع لكثير من رجال الله واوليائه المقربين .
وهذه نبذة عنه ننقلها من كتاب الاحياء بنصها . قال حجة الاسلام الامام الغزالي رضى الله عنه : لما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ايها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلاً واحداً فقال له عمر أقرني انت ؟ فقال نعم فقال أتعرف أويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحمق ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدني منه فبكي عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت الا لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا أن أطلب أويساً القرني واسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطيء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فأبى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا أويس وغفرلك كيف أنت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلك عليّ قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني فقلت من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم قال (نبأني العليم الخبير) ! وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسى نفسك . ان الارواح لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون

بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان نأت بهم الدار و تفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث اسمعه منك قال إني لم ادرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وامي رسول الله ﷺ ولكن رأيت رجالاً قد صحبوه و بلغني من حديثه كما بلغك ولست أحب ان افتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثاً أو مفتياً او قاضياً فى نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان فقلت يا أخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك فى الله حبا شديداً قال فقام وأخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكي ثم قال قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ: وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون . حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الحكيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات أبوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داؤد خليفة الرحمن ومات محمد ﷺ وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي ثم قال يا عمراه! يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الى ربي ونعى الى نفسي ثم قال أنا وانت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعى بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن

تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة

ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من أجلك

فعرفني وجهه في الجنة وأدخله على في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير و ما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيراً واجعله لما اعطيته من نعمائك من الشاكرين وأجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك و رحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله فانى اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حياً فلا تسأل عنى و لا تطلبنى وأعلم أنك منى على بال وان لم أرك أو ترني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعولك ان شاء الله انطاق انت من ههنا حتى انطاق انا ههنا فحرصت ان امشي معه ساعة فأبى على وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احداً يخبرني عنه بشيء رحمه الله و غفر له .

م . ح .



الاشتراك السنوي في مجلة « البشرى »

في فلسطين وشرق الاردن	٢٠	قرشا
في الهند	٣	روبيات
في سائر الممالك	٥	شلنات انكليزية